



روايات مصرية للجيب

لا تقل وداعا

Looloo



www.dvd4arab.com



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
٩٠٨٤٥٥ - القاهرة - ت. ٩٠٨٤٥٥

آنسة (حنان) ، أحضرت ملف شركة المقاولات
الحررة إلى مكتبي .

انسابت العبارة تحمل دفء صاحبها وصرامته إلى
أذن (حنان) ، عبر جهاز الاتصال الداخلي بين مكتب
مديرها وحجرتها الصغيرة ، فتركت ما كانت تعمل به
من أوراق ، وضغطت زر جهاز الاتصال وهي تقول
في احترام :

- حالا يا أستاذ (سامح) .

نهضت من خلف مكتبها ، وبحشت عن الملف بأصابع
مدربة ، ثم التقطته ، وتحركت نحو مكتب مديرها في
سرعة ..

توقفت فجأة وكأنها تذكرت أمراً هاماً ، وأسرعت
تفتح درج مكتبها ، وتلتقط منه مرآة صغيرة ، تأملت
فيها ملامح وجهها لحظة ، ومرت بيدها على خصلات
شعرها الكستنائي القصير ، وثبتت منظارها الطبي الصغير
فوق عينيها ، ثم أعادت المرآة إلى مكانها في عجل ،
وأسرعت إلى مكتبه ..

لا تقل وداعا ..

لماذا يا حب يأتي الفراق	ويذبل في العين دمع الهوى
لماذا تموت بنور اشتياق	أينعت يوماً في قلب غسوى
كيف يا قلب دمعى مراق	ودمع المحب خبا وانزوى
كيف ضمنا بأمس العناق	واليوم يطوى صباننا الثرى

(نبيل)

دفعت الباب وانسابت إلى الداخل في هدوء ، وتأملت
لحظة ، ثم تقدمت منه في احترام وناولته الملف ..

التقط هو الملف من بين أصابعها دون أن يرفع وجهه
إليها ، أو يتوقف الحديث الدائر بينه وبين المكاول ضخم
الجثة ، صاحب شركة المقاولات الحرة ..

وعلى العكس من مديرها التهمتها نظرات المكاول
التهاماً ، مما بعث في نفسها شعوراً جارفاً بالخجل ،
فأسرعت تغادر الحجرة ، وتغلق الباب خلفها ..

جلست خلف مكتبها وقلبها يدق في عنف كعادتها
كلما التقت بمديرها الأستاذ (سامح فهمي) ..

عادت تخرج مرآتها الصغيرة ، وتأمل ملامحها في هدوء ..

لم تكن باهرة الحسن ، ولكنها جميلة على كل الوجوه .

فوجهها المستطيل الأبيض ناعم البشرة مشرب بحمرة

خفيفة ، تزداد مع تصاعد الدماء إلى وجنتيها خجلاً ..

عينها عسليتا اللون ، لها بريق جذاب يوحي بأنها

قد انتهت من البكاء تَوَّأ ..

شفتاها ممتلئتان بعض الشيء ، ولكنهما تصنعان لوحة

رائعة مع ذقنها المدببة الرقيقة ..

***** ١ *****

شعرها كستنائي قصير ، تحرص دائماً على تصفيفه
بنفسها في عناية وجمال ..

ثيابها بسيطة ، ولكنها توحى بالأناقة ، وسلامة الذوق
والاحتشام ..

لم يكن يضايقها سوى ذلك المنظار الصغير ، الذي
تضطر لوضعه فوق أنفها بسبب قصر النظر الذي يلازمها
منذ طفولتها ..

كانت تشعر أن هذا المنظار الطبي يمنحها مظهراً جدياً
جافاً ..

وتساءلت في أعماقها : أهو سبب عدم التفات الأستاذ
(سامح) إليها ؟ ..

كانت قد التحقت بالعمل سكرتيرة خاصة له منذ
ثلاث سنوات ، وكانت شركته الهندسية - حينذاك -
تخطو خطواتها الأولى ، ولم يكن اسمها قد لمع في عالم
الأعمال كما هو اليوم ..

ما زالت تذكر ذلك اليوم الذي تقدمت إليه فيه بطلب
الحصول على الوظيفة ، ظنته يومها في منتصف الأربعينات

من العمر ، بسبب تلك الحصلات الفضية التي ملأت فؤديه
وأدهشها كثيراً أنه لم يتجاوز الثالثة والثلاثين بعد ..
استقبلها يومئذ في جدية بالغة ، وألقى عليها نظرة
سريعة تخلو من الاهتمام ، ثم سألها في كلمات مقتضبة عن
مؤهلاتها ، وخبراتها السابقة ، ولم تتبدل ملامحه كثيراً
حينما أخبرته أنها لا تحمل قط أية شهادات خبرة ،
وأنها أول مرة تتقدم فيها للحصول على وظيفة ما ، كل
ما فعله هو أن رفع إليها عينيه الفيروزيتين ، وتأملها بمزيد
من الاهتمام ..

عيناه .. يالهما من بحر فيروزى تتلاطم فيه أمواج
الغموض !!
ليست تدري لم أثارت نظراته في أعماقها رجفة
حينذاك ..

كان لعينه لون عجيب ، هو مزيج من الأزرق
والأخضر ، وأقرب وصف لها هو أنهما فيروزيتان ،
وهذا اللون العجيب يدفع المرء إلى تأمل عينيه أكثر من
مرة إذا ما تحدث معه ..
ولكن هذا اللون وحده لم يكن مبعث رجفتها ، وإنما

هو ذلك الحزن العميق الذي يطل من عينيه ، على الرغم
من ملامحه الجامدة

حزن يبدو وكأنه لا يذبل ولا ينتهى .. حتى حينما
تربح شركته آلاف الجنيهات ..

حتى في اللحظات النادرة التي يتسم فيها ، لا يمكنك
إلا أن تلمح هذا الحزن العجيب المثل من عينيه ، وكأنه
قد استقر فيهما ، وطاب له العيش ، فأبى أن يرحل عنهما ..
يومها أسرتها عيناه ، وخدرها صوته الدافئ الحنون
وهو يقول :

— حسناً يا آنسة (حنان) ، سأختبرك أسبوعين ،
ثم نرى ماذا يكون .

لم يخبرها بنتيجة هذا الاختبار بعد أسبوعين من العمل ،
حاولت خلالها أن تكون مثالا للسكرتيرة النشيطة الذكية ،
وظلت طوال فترة الاختبار تبحث في عينيه عن النتيجة ،
ولكنه ظل هادئ الملامح ، حزين العينين ، حتى انتهت
فترة الاختبار ، وفوجئت به يوقع أمراً بتعيينها في الشركة ،
بنفس البساطة التي يتعامل بها مع عملائه ...

يومها كادت ترقص فرحاً .. ليس لأنها ضمنت

وظيفة ، ولكن لأنها ستبقى إلى جواره طويلا ...
لم تشعر بميلها إليه في الأيام الأولى .. كل ما أثاره
في نفسها حينئذ هو الفضول ..

الفضول لمعرفة سر ذلك الحزن ، الذي يطل من
عينيه على نحو دائم ..

ولكن أسلوبه الهادئ المهدب ، وصوته الدافئ
الحنون ، واهتمامه الشديد بعمله ، كل هذه الأشياء أثارت
في نفسها الإعجاب ، الذي لم يلبث أن تحول إلى حب
قوى جارف ، تشعب في أعماقها ، واحتل قلبها ..
واعترفت في آخر أيام فترة الاختبار أنها قد أصبحت
عاشقة ..

عاشقة تخشى الاعتراف بحبها ، بل تخشى حتى أن
تبدل منها بادرة تشير إلى ذلك ، مما دفعها إلى مزيد من
الجدية والصرامة في عملها ..

وعاونها هو على ألا ينكشف سرها ..

عاونها بعدم التفاته إليها ..
وبقدر ما أزعجها عدم اهتمامه بها ، بعث هذا في

قلبها الارتياح ..

***** 1. *****

فلو أنه رفع عينيه إلى عينيها مرة واحدة ، لرأى
الحب العاصف الذي يملؤهما ، ولانهار جدار الجدية
والصرامة الذي تحيط به نفسها ..

أثار الحزن المثل من عينيه فضولها ، ولكن ذلك
الفضول لم يستمر طويلا ، فبعد شهر واحد من عملها في
الشركة التقت و (هدى) .. تلك الفتاة اللعوب التي تعمل
في قسم الحسابات ، وما زالت تذكر حديثهما منذ ذلك
الحين .. فلقد بدأت (هدى) تتأملها طويلا ، من قبة
رأسها حتى أخمص قدميها ، ثم سألتها في مرح مصطنع :

— أنت سكرتيرة المدير العام إذن ! .. تسعدني
مقابلتك ، اسمي (هدى) .

ابتسمت يومئذ وهي تحرص على المحافظة على جديتها ،
وقالت :

— تسعدني مقابلتك أيضاً يا آنسة (هدى) .. اسمي
(حنان) ..

تطلعت إليها (هدى) بعينين عابثتين وهي تقول في
سخرية :

— آنسة ١٩

***** 11 *****

ثم اتخذت مقعدها أمام مكتب (حنان) ، ووضعت
إحدى ساقيها فوق الأخرى ، على نحو ينم عن استهتار
بالغ ، ومالت نحو (حنان) وهي تقول :
- هل تحبين دائماً استخدام الألقاب ؟ .. إننى أميل
إلى الأسلوب البسيط .

لم تتمالك نفسها من الابتسام وهي تقول :
- حسناً يا (هدى) ، لن نستخدم الألقاب فى
حديثنا بعد ذلك .

ثم تشاغلت بمراجعة بعض الأوراق ، وكأنها تعلن
عدم رغبتها فى الحديث وإضاعة الوقت فى أثناء العمل ،
إلا أن (هدى) نجحت فى إثارة انتباهها تماماً ، حينما قالت :
- أما زال المدير حزيناً ؟ .. إننى أتصور أحياناً أنه
لا ينساها مطلقاً .

وضعت (حنان) القلم فوق الأوراق فى بطاء ، فقد
صدمتها عبارة (هدى) ..

لم تدرك لماذا لم تتصور مطلقاً أن يكون حب فاشل
هو سبب كل هذا الحزن فى عيني الأستاذ (سامح) ..

صدمتها العبارة حتى أن صوتها بدأ مرتجفاً وهي تخلع
منظارها الطبي ، وتضعه إلى جوار القلم مخممة :
- لا ينساها مطلقاً ؟ ! .. من هى هذه ؟
مالت (هدى) نحوها ، وهمست فى لهجة من يذيع
سراً خطيراً :

- (نجوى) .. (نجوى حماد) .
تمتمت وقد ازداد صوتها اختناقاً :
- (نجوى حماد) ؟ ! .. من هى (نجوى) هذه ؟
اعتدلت (هدى) ، وظهر الارتياح والفخر فى ملامحها
وهي تقول :
- لقد كانت جارتى فيما مضى .. ولقد كان الأستاذ
(سامح) غارقاً فى حبها حتى أذنيه .

فشلت (حنان) فى التقاط منظارها الطبي بأصابعها
المرتجفة المضطربة ، فعادت بمقعدها إلى الوراء فى عصبية ،
واكتفت بالاستماع إلى (هدى) التى تابعت قائلة :

- كان هذا منذ خمسة عشر عاماً ، كان هو فى
الحادية والعشرين ، وهى فى منتصف التاسعة عشرة ،
وكانا زميلين فى كلية الهندسة ، ومن العجيب أن حبهما

كان مضرب الأمثال ، وكان قد أصبح رمزاً للحب والعشق ،
والهيام ، عندما تزوجت (نجوى) .

نعمت (حنان) في شحوب :

— تزوجت ؟ !

أومات (هدى) برأسها تؤكد العبارة ، ثم أردفت

وهي تهز كتفها :

— نفس القصة التقليدية ، تزوجت رجلاً ثرياً ،

يؤمن لها حياة الرفاهية ، وتخلت عن حبيبها العادي في

قسوة ، دون أن تحاول الاعتذار ، وأصيب هو بانتيار

عصبي شديد ، حتى أنه رسب في نفس العام الدراسي ،

الذي تزوجت فيه (نجوى) ، وأطلق لحيته ، واعتزل المجتمع .

نعمت (حنان) في لهفة :

— ثم ؟ !

قالت (هدى) وهي تلوح بكفها :

— ثم عاد فجأة إلى تفوقه .. لم يفهم أحد ماذا أعاده

فجأة هكذا ، ولكن الجميع شعروا بالفرح من أجله ،

تصوروا أنه قد استبعد (نجوى) من حياته ، ولكن هذا لم

يكن صحيحاً ، حتى أن تلك النظرة الحزينة لم تفارق عينيه

منذ عودته ، كما أنه لم يحاول العودة لنشاطه السابق ، بل
اعتزل زملاءه وزميلاته ، ولم يعد هناك ما يملأ حياته
سوى الرغبة في التفوق .

توقفت (هدى) عند هذه النقطة ، فخيم الصمت

على جو الحجرة ، وتصورت (حنان) أن خفقات قلبها

أصبحت مسموعة ، حتى عادت (هدى) تقول :

— لقد تفوق بالفعل ، وتخرج بتقدير ممتاز ، ولكنه

رفض العمل في الجامعة ، وظل يسعى حتى حصل على

عقد عمل ممتاز في واحدة من دول البترول ، وقضى

هناك سنوات عدة ، ثم عاد يفتح تلك الشركة الهندسية .

قالت (حنان) في لهجة غير مقنعة :

— لا أعتقد أنه يذكرها كل هذا الوقت .

هتفت (هدى) في حماس :

— هل تراهني ؟

عادت إليها صرامتها وهي تنهى الحديث ، قائلة :

— من الخطأ أن نضيع وقت العمل في مثل هذه

الأحاديث .

ثلاث سنوات كاملة وهى تحاول نسيان هذا الحديث
دون أن تفلح فى ذلك ..

كان خيالها يرسم صورة قلوب الأخرى لـ (نجوى حماد)
هذه ...

فتارة تتصورها شقراء وأخرى ممراء .. مرة
نحيلة ، ومرة ممتلئة ..

صنعت لغريمتها آلاف الصور فى عقلها ، دون أن
تجرؤ على البحث عنها ، أو معرفة شكلها الحقيقى ..

كانت تخشى أن تجدها أكثر جمالا وبهاء منها ...

كانت تخشى قوة غريمتها وتفوقها ..

وكثيراً ما تساءلت عما حدث لـ (نجوى) بعد زواجها ..

أهى سعيدة ؟ .. هل أنجبت ؟ .. أما زالت تحتفظ

بحسنها ؟ ..

كانت تصنع إجابات وهمية لأسئلتها ، دون أن
تحاول البحث عن الأجوبة الحقيقية ..

ثلاث سنوات وهى تلور فى هذا الخيال ، دون أن
يفصح قلبها عن أعماقها ..

ثلاث سنوات وهى تزداد غوصاً فى أمواج عينيه
الحزينتين ، وتزداد تعلقاً به ، وحباً له ..

ثلاث سنوات و

قطع ذكرياتها صوت حاد يقول فى لهجة أقرب إلى
العصبية :

— ماذا أصابك ؟ .. إننى أتحدث إليك منذ دقيقة كاملة.

ارتجف جسدها ، وكأنها قد فوجئت بالصوت ،
ورفعت عينيها إلى صاحبة الصوت فى سرعة ..

كانت تقف أمامها سيدة فى منتصف الثلاثينات ،
ولكنها ما تزال تحتفظ بجمال نادر ، وجاذبية رائعة ..

شعرها الأحمر يتألق تحت ضوء الحجر ، على الرغم
من تلك التصفيفة المعقدة التى يبدو عليها ..

عيناها فى لون الذهب حينما يختلط بماء البحر ..
أنفها دقيق أنيق ، يمتد مستقيماً بين عينيها ..

فها آية من معجزات الخالق فى جماله وطرأوته ..
انتاب (حنان) شعور غامض بالقلق ، وهى تتأمل

ملامح السيدة ، وتقول فى لهجة أقرب إلى الاعتذار :
— معذرة يا سيدتى ، كنت أراجع بعض الأوراق و ..

٢ - اللقاء ..

ظهرت (نجوى حماد) مرة ثانية ...

عادت إلى حياة (سامح) فجأة ، بعد أن كادت
(حنان) تتصور أن القصة التي قصتها (هدى) مجرد
خيال محض ...

اختفت كل الصور التي صنعها خيالها لغريمتها ...
تلاشت دفعة واحدة وهي تتطلع في إحباط إليها ..
كادت الدموع تقفز من عينيها وهي تتأمل جمال
غريمتها الصارخ ..

نهضت في آلية واستسلام ، وقد سيطر عليها شعور
جارف بالحزن ، ودقت باب مكتب (سامح) في هدوء
كعادتها ، ثم دفعت الباب ، ودلفت إلى الداخل ..

تطلع إليها (سامح) في دهشة ، وكذلك فعل المكاول
البدن ، ولكنها لم تلاحظ دهشتها وهي تتقدم إلى المكتب ،
وتقول في صوت خرج شاحباً كوجهها :

- هناك سيدة تطلب مقابلتك ياسيدى .

قاطعتها السيدة وهي تقول في عجرفة :

- لا بأس .. أخبرى مديرى أنكى أريد مقابلته .

تملكتها رغبة شديدة في مقابلة هذه العجرفة بمثلها ،

فأشاحت بوجهها وهي تقول :

- هل هناك موعد سابق ؟

قالت السيدة بمزيد من العجرفة :

- لا يشغلنك هذا الأمر .. أخبريه اسمى وأؤكد لك

أنه لن يرفض مقابلتى ..

تضاعف شعور (حنان) بالقلق وهي تسألها :

- اسمك ؟ !

رفعت السيدة رأسها في غرور وخيلاء ، وقالت من

بين أسنانها :

- قولى له إن (نجوى) تطلب مقابلته .. (نجوى

حماد) .



ظهر الضيق في عينيه وهو يتطلع إلى المقاول البدين
معتذراً ، وسألها :

— لن يمكنني مقابلة أحد يا آنسة (حنان) ، لأنني
أتحدث مع السيد ...

قاطعته وهي تقول في صوت خافت :

— إنها تدعى (نجوى حماد) .

هبطت روحها المعنوية إلى ما تحت الصفر ، حينما
تأملت عيناه الفيروزيتان لأول مرة بيريق الفرح ،
ولاحظت في يأس أصابعه التي ارتجفت وهو يقول :
— أدخلها على الفور .

ثم استدار إلى المقاول البدين ، وقال في لهفة لم يحاول
إخفاءها :

— معذرة ياسيد (عطوان) ، إنه أمر بالغ الأهمية .

نهض المقاول البدين ، وقال في سخرية ، لم يحاول
إخفاءها أيضاً :

— بلا شك يا أستاذ (سامح) ، سنكمل حديثنا غداً
بإذن الله .

كتمت (حنان) دموعها بصعوبة ، وهي تتحرك نحو

الباب ، وتتطلع إلى (نجوى) مرة أخرى ، ثم تشير إليها
بالدخول ، وهي تقول في صوت متحشرج :

— تفضلي ياسيدة (نجوى) .

ابتسمت (نجوى) في ثقة وغرور ، واندفعت إلى
حجرة (سامح) ، وسمعت (حنان) يقول في لهفة وسعادة :
— مرحباً يا (نجوى) ، تفضلي بالجلوس ، لقد أنرت
المكتب بقدمك .

أغلقت (حنان) باب الحجرة في ضيق ، وتهاوت
فوق مقعدها ، وتنبت إلى أنها قد نسيت ارتداء منظارها
الطبي ، فدفعته بكفها إلى حافة المكتب ، وأسرعت تلتقط
مندبلاً ورقياً ، تجفف به دموعها الغزيرة ، ثم أغلقت
عينها ، وهمست في ألم :

— وداعاً يا حبي الذي كان ..

وبينما كانت (حنان) تعيش قصة أحزانها ، كان
(سامح) في ذروة سعادته وهو يفرك كفيه ، ويسأل
(نجوى) ، التي جلست أمامه في ثقة :

— كيف حالك يا (نجوى) .. إنك لم تفقدي ذرة

واحدة من جمالك النادر طيلة كل هذه السنوات .

رفعت يدها تتحسس شعرها الأحمر في خيلاء ،
ثم قالت :

— إننى أتعب كثيراً للمحافظة عليه .

ساد الصمت بينهما لحظة ، وكلاهما يتأمل الآخر في
سكون ...

شعر (سامح) بأعماقه ترتجف ، وببيران تضطرم في
قلبه ...

لم يكن يصدق أنها قد سعت إليه بعد كل هذه
السنوات ...

كانت على نفس الصورة التي رآها عليها قبل
زواجها ، باستثناء بعض التجاعيد الصغيرة حول عينيها ،
وبعض البدانة التي أضيفت إلى وجهها ...

نفس الجمال والكبرياء والخيلاء ...

ابتسم في شحوب ، وقال في انفعال واضح :

— ماذا فعلت منذ زواجك ؟

أسبلت جفنيها الجميلين وهي تقول في حزن :

— لقد توفي زوجي منذ ثلاثة شهور .

خفق قلبه في شدة ، ولاحظ لأول مرة الثوب
الأسود الذي ترتديه ، فغمغم في ارتباك :

— البقاء لله وحده .

وتردد لحظة قبل أن يسألها :

— هل .. هل لديك أبناء ؟

ابتسمت حينما فهمت مغزى سؤاله ، وتطلعت إلى
عينيها وهي تقول في بطء :

— كان زوجي — رحمه الله — عقيماً .

شعر بالارتياح لإجابتها ، وانتابته سعادة غامضة ،
وتملكه فضول عنيف لمعرفة سبب هذه الزيارة بعد خمسة
عشر عاماً من الانقطاع ..

لم يحاول مرة واحدة البحث عنها طوال هذه الأعوام ..
كان يحاول إقناع عقله بنسيانها ، ولكن قلبه أبى عليه
ذلك ..

وهناك جزء من نفسه كان يخشى البحث عنها ،
ربما لأنه ظل يحبها كل هذه الأعوام ، بل إنه يعزو
نشاطه ، وتفوقه ، ونجاحه إلى رغبته في إثبات سوء
تقديرها ، حينما رفضته من أجل المال ..

احتمل كل هذا التعب من أجل من رفضته ..
وها هي ذى الآن أمامه ، بعد أن نهل من نبع النجاح ،
واغتسل في نهر الثراء ..

مال نحوها ، وتألق السؤال في عينيه ، دون أن
يجرؤ على نقله إلى شفثيه ، ولكن (نجوى) فهمت
ما يريد ، فابتسمت ابتسامة جذابة ، وقالت في صوت
يلوح فيه الحزن :

— أنت تعلم أنهم أجبروني على الزواج من (أنور)
بسبب ثرائه .

كان يعلم أنها كاذبة ، وأنها قد اختارت (أنور)
بمحض إرادتها ، ولكنه ارتاح لتبريرها ، ولم يحاول
اعتراضها ، بل واصل إصغاءه إليها وهي تستطرد :

— لقد كان ثرياً وسخياً ، لم يرفض لي مطلباً طيلة
زواجنا ، حتى عندما كانت مطالبى تفوق حدود الثراء ،
لم يكن يتردد في تنفيذها .

صمتت لحظة ، وكأنها تستعيد ذكرياتها مع زوجها
الراحل ، ثم واصلت قائلة :

— كان كريماً إلى حد أنه لم يلتفت للمستقبل ،

وكنت أظن أنه يحاول بذلك تعويض عدم قدرته على
الإنجاب ، ولم يضايقنى ذلك .. لم أجد حتى وقتاً للتفكير
في الإنجاب وسط السهرات والمتع ، ورحلاتنا إلى أوروبا
 وأمريكا .

تهدت على نحو آثار غيرته وهي تتابع :
— لقد طفنا العالم معاً .

التقطت منديلها من حقيبتها الأنيقة ، وجففت به
دمعة وهمية ، ثم تابعت :

— وفجأة فقدته ، فقدت زوجى ، وكل شيء ..
أراد أن ينطق بعبارة تعزية للمجاملة ، ولكن لسانه
عجز عن الحركة ، فاكتفى بالاستماع إليها وهي تقول :

— كشفت بعد وفاة زوجى أنه لم يعد يملك شيئاً ،
لقد كنا ننفق المال بأسرع مما يكسبه ، حتى أنه اضطر قبل
وفاته إلى بيع كل ما يملك ، ومات وأنا لا أملك حتى
السيارة التى أقودها .. تركنى معدمة تماماً .

جاهد حتى يمنع الدموع من القفز إلى عينيه ، وقال
في صوت متحشرج :

— كلى تحت أمرك يا (نجوى) .

ابتسمت ابتسامة واثقة ، وكأنها كانت تعلم ما سينتهى
إليه الأمر ، وقالت في صوت يفيض بالإغراء :
- إننى أطلب مطلباً هيناً ..

صاح في حماس :

- كل مطالبك مجابة .

عادت تبسم نفس الابتسامة الواثقة ، وهى تقول في
بطء :

- أريد وظيفة محترمة في شركتك .

رقص قلبه طرباً ، واتسعت ابتسامته لتشمل وجهه
كله وهو يقول :

- فقط 11

ثم ضغط زر جهاز الاتصال ، وقال :

- آنسة (حنان) ، أريدك في مكتبي على الفور .

دخلت (حنان) إلى مكتبه في خطوات بطيئة ،

وأخذت تنقل عينها بينه وبين (نجوى) ، التى تطلعت

إليها فى اهتمام ، وكأنها تقرأ أفكارها ، ثم قال (سامح) :

- أعدى أمراً بتعيين السيدة (نجوى حماد) مديرة

لقسم التخطيط بالشركة .

تأملت عينا (نجوى) بريق لم يخف على عيني
(حنان) ، التى قالت فى ضعف :

- ولكن المهندس (سعيد) ..

قاطعها (سامح) فى صرامة :

- عليك تنفيذ أوامرى دون مناقشة يا آنسة (حنان) .

إزداد بريق الظفر فى عيني (نجوى) ، وارتسمت

على شفتيها ابتسامة تجمع بين السخرية والاستهانة

والفوز ، وشعرت (حنان) بغضب يعصف بقلبها حتى

أنها لم تعد تحتمل البقاء ، فاستدارت تغادر الحجرة وهى

تقول :

- كما تأمر يا سيدى .

ولم تكذ تغلق الباب خلفها ، حتى أطلقت العنان

لدموعها ، فلم يعد أمامها سوى الاعتراف بأن غريمتها

قد فازت ، بعد اللقاء الأول .



تبدلت كل الأحوال في الشركة منذ انضمام (نجوى) إليها ..

لم يعد (سامح) حزيناً صارماً كسابق عهده .. أصبح أكثر مرحاً وتساهلاً ...

لم يعد صاحب الكلمة العليا في الشركة ، بل أطلق العنان لـ (نجوى) ، ومنحها العديد من السلطات ..

و (نجوى) تعشق السلطة ، ولكنها لا تجيد ممارستها .. ففى أعماقها ديكتاتور كامن أطلقت السطوة ..

تجاوزت أوامرها قسم التخطيط إلى أقسام المتابعة والتنفيذ ، وجار موظفو الشركة بالشكوى من روح الاستبداد فى أعماقها ..

و (سامح) لا يعترض ..

إنه يبدو سعيداً ، كما لو أن إطلاقه العنان لاستبدادها سينعش حبهما القديم ..

واحدة فقط أفادت من هذا الأسلوب الجديد ..

(هدى) ..

فبحكم صداقتها وجيرتها القديمة لـ (نجوى) ، كانت تلك الأخيرة تعدّها ذراعها اليمنى ، وناقلة الأسرار فى الشركة ..

وكانت لقاءاتهما تزداد كثيراً فى مكتب (نجوى) ، حيث تنقل إليها (هدى) كل ما يردده الموظفون عنها ، وتستمع إليها (نجوى) فى اهتمام ، ثم تبدأ فى اتخاذ إجراءاتها الانتقامية ..

يقولون إن الطيور على أشكالها تقع ، وصداقة (نجوى) و(هدى) خير تأكيد لهذا القول ، فكلتاها وصولية حاقدة .. وكلتاها خبيثة ماكرة ..

وكان حديثهما فى ذلك اليوم يدور حول (حنان) .. كانت (نجوى) تقول فى غضب:

— ماذا تظن نفسها هذه السخيفة ؟ .. إنها مجرد سكرتيرة عادية .

قالت (هدى) فى خبث ، وكأنها تعتمد إشعال غضب (نجوى) :

— ولكنها سكرتيرة المدير العام وصاحب الشركة شخصياً .

عقدت (نجوى) حاجيها ، وعبثت بخصلات شعرها
الأمر في عصبية ، وقالت :

— هذا لا يعطيها حق رفض أوامري .

سألها (هدى) في فضول :

— ماذا حدث بينكما بالضبط ؟

عادت (نجوى) تعبت بخصلات شعرها في عصبية ،
وقالت :

— طلبت منها صباح اليوم أن تنسخ لي بعض التقارير
على الآلة الكاتبة ، ولكنها رفضت في وقاحة ، وطلبت
منى نسخها في قسم التخطيط ، بحجة أنه لا وقت لديها .
شهقت (هدى) بحركة مفتعلة وهي تهتف :

— ماذا فعلت إزاء وقاحتها هذه ؟

قالت (نجوى) في توتر :

— صرخت في وجهها أنها لا بد وأن تطيع أوامري ،
ولكنها أجابتنى في صفاقة أنها لا تطيع سوى أوامر المدير
فقط .

تراقصت ابتسامة خبيثة على شفتي (هدى) وهي
تسألها :

— وما رأى الأستاذ (سامح) ؟

أجابتها (نجوى) في ضيق :

— إننى لم أخبره بعد .

سألها (هدى) في لطفة :

— لماذا ؟

ترددت (نجوى) لحظة ، ثم قالت :

— هذه الوقحة تحبه ، لقد قرأت هذا في عينيها منذ
لقائنا الأول .

ازداد فضول (هدى) وهي تسألها في لطفة :

— وماذا يمنعك من إخباره على الرغم من هذا ؟

مطت (نجوى) شفتيها الجميلتين ، وقالت :

— لست أعلم إذا ما كان يبادلها الشعور نفسه أم لا ..

مالت (هدى) نحوها ، وهمست في تزلف :

— إنه لا يعشق سواك .

ارتسمت ابتسامة متلهفة على شفتي (نجوى) وهي
تقول :

— أحقًا ؟

أجابتها (هدى) في ثقة :

— لا مجال للشك .. أرأيت كيف أنه تبدل تماماً منذ
عودتك إليه ، لقد اختفت صرامته ، وأطلق لك العنان
في كل شيء ، ولم يعترض يوماً على أسلوبك ، على الرغم
من أنه يخالف أسلوبه تماماً .

عاد بريق الظفر إلى عيني (نجوى) ، وقالت في
حماس :

— في هذه الحالة سأطلب منه أن يفصلها و ...

قاطعتها (هدى) في هدوء :

— خطأ ..

تطلعت إليها (نجوى) في عصبية ، وقالت :

— أي خطأ في هذا ؟

انحنت (هدى) نحوها ، وقالت في خبث :

— صحيح أنك تكبرينني بسبع سنوات ، إلا أن خبرتي

في التعامل تفوق خبرتك كثيراً ..

شعرت (نجوى) بالضيق حينما ذكرتها (هدى)

بسنها ، ولكنها لم تعترض ، واستمعت إلى (هدى)

وهي تستطرد :

— إن (حنان) سكرتيرة نشطة ، والأستاذ (سامح)

يعاملها معاملة خاصة .. صحيح أن علاقتهما لا تتجاوز
علاقة مدير بسكرتيرة نشطة ، إلا أن مثل هذه العلاقة
لا تلبث أن تتحول إلى نوع من الاعتياد هو أقرب إلى
الحب ..

ازداد توتر (نجوى) وهي تسألها :

— ماذا تعنين ؟

ابتسمت (هدى) في خبث ، وقالت :

— أعني أنك لو طلبت هذا من الأستاذ (سامح) ،

فستجعلينه ينتبه أكثر إلى (حنان) ، وربما كشف حينئذ
أنه يحبها .

ظهرت الحيرة في عيني (نجوى) ، على حين بادرتها

(هدى) بسؤال مفاجئ :

— هل تفكرين في الزواج من الأستاذ (سامح) ؟

كان السؤال مباغتاً ، حتى أن (نجوى) تطلعت إلى

(هدى) في دهشة طويلة ، قبل أن تقول في ضيق :

— إنه لم يطلب الزواج مني بعد .

أسرعت (هدى) تقول :

*** ٣٣ ***



— ربما لأنك لم تمنحيه الفرصة .

سألها في لهفة :

— وكيف أفعل ؟

أجابتها :

— إنه يحبك ولا شك ، ولكنه ربما يخشى طلبك

للزواج خشية رفضك للمرة الثانية ، ولكنه لو شعر
برغبتك في ذلك فسيغير الأمر .

سرحت (نجوى) ببصرها لحظة ، فأسرعت (هدى)

تقول :

— أنت تخمينه ، أليس كذلك ؟

هزت (نجوى) كتفها ، وقالت :

— الزواج من رجل مثله يؤمن الثراء والأمان .

ثم نهضت من مقعدها ، وقالت :

— يبدو أنني قد توصلت إلى أسلوب إبعاد (حنان)

هذه يا (هدى) .

وأسرعت تغادر حجرتها قبل أن تشبع فضول

(هدى) ، وتحركت في خطوات سريعة إلى حجرة

(حنان) ، واندفعت داخلها دون استئذان ، ثم تجاهلت

(حنان) تماماً ، وأسرعت إلى باب مكتب (سامح) ،

ولكن (حنان) أوقفها صائحة :

— مهلا يا سيدة (نجوى) ، إن الأستاذ (سامح)

لن يستقبل زائرين الآن .

استدارت إليها (نجوى) في حنق ، وتركت مقبض

الباب ، وتوجهت إليها في عصبية ، ثم قالت في حدة :

— اسمعي أيتها المتحدقة ، إنك لا تملكين حق منعي

من الدخول .

قالت (حنان) في صرامة :

— بل أملك هذا بالطبع ، وأتقاضى أجرى مقابله .

احتقن وجه (نجوى) وهي تقول في غضب :

— هل بلغت وقاحتك إلى هذا الحد ؟

عدلت (حنان) وضع منظارها الطبي ، وبذلت

مجهوداً جباراً للسيطرة على أعصابها وهي تقول :

— أنا لا أسمع لك بإهانتى .

ضحكت (نجوى) على نحو يوحى بالسخرية

والتوتر ، وقالت في عصبية :

— أنت لا تسمحين لي ؟ .. يا لها من مهزلة !!

ثم انحنى نحوها وأردفت في صرامة :
— اسمعي أيتها السخيفة ، لن يمضي وقت قليل حتى
نصبح أنا ورئيسك زوجين ، ولو أنك لم تحسني علاقتك
في هذه الأيام ، فسأعمل على فصلك حينذاك .
أنى قد حذرتك .

لم تجبها (حنان) ، ربما لأنها خشيت أن تنفجر بالبكاء
إذا ما فتحت شفتيها لتنطق كلمة واحدة ، وتصورت
(نجوى) صمتها نوعاً من المكابرة ، فقالت في حق :
— سئرى أيتها المغرورة ..

ثم استدارت وأسرعت تغادر الحجرة وتصفق الباب
خلفها في غضب .. وحينئذ فقط انفجرت (حنان)
بالبكاء ، واسألت الدموع من عينيها أنهاراً ، وزاد نحيبها
وكأنها تبكى حبها الضائع ، وأحلامها المنهارة .



تطلعت إليها (حنان) في ذهول ، فقد كان الخبر
محطماً لها تماماً ..

سيتزوج حبيبها من تلك المغرورة ..
ستفقد حبها الأول دون أن تجرؤ على المقاومة ..
لم يرهبها وعيد (نجوى) ، ولكن حطمها الخبر الذي
نقلته إليها ..

حمدت الله — سبحانه وتعالى — لأول مرة على منظرها
الطبي ، الذي أخفى دموع القهر في عينيها ، وأشاحت
بوجهها حتى لا تلاحظ غريمتها تلك الدموع وهي تهمر
على وجنتيها ، ودفعها اليأس إلى أن تقول في صوت
مختنق :

— افعل ما بدا لك .
تصاعدت الدماء إلى وجه (نجوى) ، حتى صار من

عادت (حنان) إلى منزلها في أسوأ حالاتها ، واستقبلتها شقيقتها الصغرى (غادة) في مرح كعادتها ، ولكنها لم تلبث أن شعرت بما أصاب شقيقتها ، فسألتها في قلق :
- ماذا بك يا (حنان) ؟ إنك تبدين كما لو أنك فقدت عزيزاً .

انفجرت (حنان) فجأة بالبكاء ، كأنها كانت تنتظر هذا السؤال ، فصاحت (غادة) في قلق متزايد ، وهي تجذبها إلى حجرتها :

- رويدك يا (حنان) ، حتى لا يشعر أبى أو أمى بما أصابك ، هيا بنا إلى حجرتى ، وستقصين على كل شيء .
ظلت (حنان) تبكى طويلاً في حجرة شقيقتها الوحيدة ، دون أن تحاول هذه الأخيرة منعها ، حتى تأكدت من أنها قد أفرغت كل حزنها ، فاقتربت منها ، وجففت دموعها بأناملها وهي تسألها في محبة :

- هل يضايقك أن تقصى على سبب حزنك الجارف هذا ؟

أجابتها (حنان) بكلمة واحدة تعنى لها الكثير :
- (سامح) ..

عقدت (غادة) حاجبها وهي تسألها في اهتمام يمتزج بالقلق :

- ماذا أصابه ؟

أجابتها (حنان) في صوت متعجب :

- سيتزوج (نجوى) .

سألتها في دهشة :

- من (نجوى) هذه ؟ .. وماذا يعنيك من أمر

زواجهما ؟

ثم ارتفع حاجباها ، واتسعت عيناها ، حينما فهمت إجابة سؤالها ، وهتفت :

- يا إلهى !! (حنان) .. إنك تحبين الأستاذ (سامح) .

أومأت (حنان) برأسها إيجاباً ، دون أن تنبس بحرف

واحد ، فأحاطت شقيقتها كنفها في حضن ، وهتفت :

- يالك من كتومة !! إنك تتحدثين عنه منذ ثلاث

سنوات ، دون أن ألحظ عشقك له ، ترى هل يعلم به ؟

هزت (حنان) رأسها نفيًا ، وسالت الدموع صامتة
على وجنتيها ، فعقدت (غادة) حاجبيها ، وقالت :
— إنه حب من طرف واحد إذن .. كيف تورطت
في مثل هذا الحب اليائس ؟

انطلقت (حنان) تقص عليها الأمر بأكمله ، منذ
أول لقاء لها مع (سامح) ، واستمعت إليها (غادة) في
صمت واهتمام ، حتى انتهت من ذكر تفاصيل حديثها
مع (نجوى) ..

خيم الصمت طويلا قبل أن تقول (غادة) :
— هذا الرجل لا يستحق كل هذا الحب الذي
تمنحينه إياه .

رفعت إليها (حنان) عينيها الباكيتين ، وهتفت في
عتاب :

— (غادة) !!

قالت (غادة) في تحد :

— إنه كذلك بالفعل ، فالرجل الذي يتدله في حب
امرأة رفضته مسبقاً من أجل المال ، لا يستحق حباً جارفاً
كحبك .

قالت (حنان) في تردد ، وكأنها تدافع عن حبيبها :
— الحب الحقيقي لا تقتله العقبات .
استمر الحديث بينهما سريعاً متلاحقاً ، تغلبت عليه
روح العناد حينما قالت (غادة) :

— والحب الحقيقي لا ينهار من أجل المال أيضاً .
— إنه يحبها .

— كلاً .. إنه يحاول إثبات تفوقه ليس إلا .

— إنه لا يحتاج إلى إثبات تفوقه .

— بل يحتاج إلى ذلك كثيراً ، وسيحققه بالزواج من
المرأة التي رفضته قديماً .

— لا أحد يتزوج من أجل إثبات التفوق فقط .

— كثيرون يفعلون هذا .

— ليس (سامح) هكذا .

— هل تراهنين ؟

توقف الحديث عند هذه النقطة ، فلم يكن باستطاعة
(حنان) التأكد من السبب الحقيقي لزواج (سامح) من
(نجوى) ..

إنها تتمنى من أعماقها أن يكون إثبات التفوق هو

السبب الوحيد ، فهي لا تحتمل حبه لأخرى ، حتى
ولو كانت (نجوى) ..

تذكرت حينئذ جمال (نجوى) الصارخ ، فقالت
في بأس :

— إنها بارعة الحسن .

هزت (غادة) كتفها ، وقالت في استهتار :

— الرجال لا يتزوجون الجميلات فقط .

ثم أردفت في جدية :

— لو أن الجمال هو المقياس الوحيد للزواج لبارت

نصف نساء الأرض ، فهناك أنواع أخرى من الجمال تكمن

في أعماق المرأة ، كوفائها وطيبتها ، ومرحها وإخلاصها ،

وكل رجل على وجه الأرض يبحث عن واحد من أوجه

الجمال هذه ، وعادة ما يكون هذا الوجه هو ما يفتقده في

تعاملاته كثيراً .

جذب حديث (غادة) انتباه (حنان) ، حتى أنها

أصغت إليها في اهتمام وهي تستطرد :

— فالرجل السطحي وحده هو الذى يسعى خلف

***** ٤٢ *****

جمال الوجه والجسد ، أما الرجل العاقل فيبحث عن امرأة
وفية مخلصه ، تتخلى عن العالم من أجله ، وتظل مخلصه
له طيلة حياتها ، دون أن تطمع في أكثر من حبه وحنانه .

حركت (حنان) رأسها في ضيق وهي تقول :

— لا فائدة لكل هذا الحديث ، إنه سيعتزوجها .

ساد الصمت لحظة ، ثم هتفت (غادة) وكأنها

توصلت إلى حقيقة جديدة :

— هل أعلن الأستاذ (سامح) خبر الزواج هذا ؟

تطلعت إليها (حنان) في حيرة ، وقالت في تردد :

— ربما ينتظر اللحظة المناسبة .

قفزت (غادة) من مكانها ، وقالت في حماس :

— وربما كانت مجرد مناورة من (نجوى) .

نظرت إليها (حنان) في دهشة ، ونغممت :

— هل يصل بها الأمر إلى هذا الحد ؟

جذبتها (غادة) من معصمها ، وأجبرتها على الوقوف

أمام المرأة وهي تقول :

— ليس هناك ما يمنع ، وأنت تساعدنيها في ذلك .

***** ٤٣ *****

هتفت في استنكار :

— أساعدها ؟ !

قالت (غادة) وهي تشير إلى المرأة :

— انظري إلى ما تفعلينه بنفسك ، هل يعجبك

وجهك هكذا ؟

أدهشها سؤال شقيقتها ، فباستثناء بعض الشحوب ،

لم يكن وجهها يختلف كثيراً عما اعتادته ، فسألها في حيرة :

— ماذا به ؟ .. لم يختلف فيه شيء .

رفعت (غادة) سبابتها أمام وجهها ، وقالت :

— هذا هو الخطأ بعينه .

ثم أردفت وهي تلمح الحيرة والتساؤل في عيني

(حنان) :

— إنك تلزمين مظهراً بالغ الجدية ، شديد الصرامة ،

ما الذي يعجبك في هذا المنظار بالله عليك ؟

نمغمت (حنان) في اعتراض متخاذل :

— لا يمكنني الرؤية بدون .

صاحت (غادة) وهي تنزع المنظار عن عيني شقيقتها :

— فلتذهب الرؤية إلى الجحيم ، المهم هو المظهر الجميل .

انتزعت (حنان) المنظار من يد شقيقتها في خشونة ،

وقالت :

— لن أتخلي عن منظارى من أجله ، فليحبنى كما أنا

وإلا فلا .

قالت (غادة) في عناد :

— لا تتصرفي كالأطفال ، إننا نقاتل امرأة تعتمد على

الجمال وحده .

صاحت (حنان) في ضيق :

— لن أهبط إلى مستواها وأسلوبها ، ثم إنني لا أحب

إطلاق لفظ القتال على حالة حب ، فهما يتعارضان تماماً .

هزت (غادة) رأسها وقالت :

— لست أرى فارقاً بينهما ، فهذا قتال وذاك قتال ..

صحیح أن الأسلحة تختلف في الحالين ، ولكن كلا منهما

صراع من أجل الحصول على شيء ما .

ترددت (حنان) وهي تتأمل وجهها في المرأة دون

المنظار ، ثم قالت في تحاذل :

— هل تظنين أن شكلي سيختلف كثيراً لو تخلّيت عن منظارى ؟

ضحكت (غادة) وهى تقول :

— بالطبع .. ثم إننا سنضيف بعض لمسات (المكياج) وتغيير طريقة تصفيف الشعر .

ثم أردفت وهى تمر على رأس شقيقتها :

— أراهن أنك ستبهرينه حتى أنه لن يلتفت إلى (نجوى) هذه مرة أخرى .

خفق قلبها وهى تتصوره يتأملها فى إعجاب ، وتملكتها الفكرة حتى وجدت نفسها تهتف فى حماس :
— حسناً يا (غادة) .. سأتابع كل نصائحك .



ألقت (حنان) نظرة أخيرة على وجهها فى المرآة ، قبل أن تغادر منزلها إلى الشركة ، ورقص قلبها فرحاً ، حينما لاحظت ذلك التبدل الكبير فى ملامحها ، بعد اللمسات الجمالية التى أضافتها إليها (غادة) ..

كانت قد أعادت تصفيف شعرها بشكل أكثر أنوثة ، وأضافت بعض الظلال إلى جفونها ، وقليلًا من أحمر شفاه وردى إلى شفتيها ، وتدلّى من أذنيها قرط ماسى أضيف بريقه إلى لمعان عينيها ، فبدت وكأنها تتألق جمالا ، كما حرصت على ارتداء ثوب زاهى الألوان أضفى عليها مظهراً أكثر مرحاً ، وأقلّ تزمّناً ..

ازدادت ثقتها بنفسها بعد ذلك المظهر الأنثوى الجذاب ، وتملكها شعور قوى بأنها قادرة على هزيمة (نجوى) فى معركة الحب ..

بدت مختلفة تماماً وهى تعبر بوابة الشركة ، حتى أن حارس الأمن هناك أطلق من بين شفتيه المضمومتين صفير إعجاب ، ثم هتف فى دهشة :

— صباح الخير يا آنسة (حنان) ، إنك تبدين رائعة
الجمال هذا الصباح .

أسعدها إطراؤه حتى أنها قفزت سلام الشركة في
خفة ومرح ، ولأول مرة في حياتها لحقتها نظرات
الإعجاب ، وعبارات الإطراء ..

زاد هذا من ثقتها بنفسها ، ولامت نفسها كثيراً على
أنها لم تفعل ذلك منذ البداية ..

لم يكن إطراؤهم بقادر على منحها ما تسعى إليه ..
كان هو وحده الذي يعينها ...

تمنت لو أنه لاحظ التبدل الكامل في هيئتها ..

تمنت أن ترى في عينيه الفيروزيتين بريق الإعجاب ،
وأن تسمع من بين شفثيه كلمات الإطراء ..

توجهت من فورها إلى مكتبه ، واندفعت إلى الداخل
وهي تقول في مرح :

— صباح الخير يا أستاذ (سامح) .

تجمدت الكلمات على شفثيتها ، وانهارت ثقتها دفعة
واحدة ، حينما وقع بصرها على (نجوى) وهي تجلس
إلى جواره ..

كانت (نجوى) صورة كاملة للجمال بأبهى صورته
هذا الصباح ..

كان وجهها متألقاً كالبدر ..

شعرها الأحمر الجميل مصفف في إغراء ..

عينها الذهبيتان تبرقان بالحيوية والنشاط ..

شفثاها تلمعان بلون قرمزي شديد الإبهار ..

ثوبها الأحمر يشترك مع شعرها وبشرتها في صنع

صورة للإغراء ، يدير رأس أشد الرجال اتزاناً ..

تجمدت الكلمات فوق شفثي (حنان) حينما رأت تلك

النظرات الواهة ، التي تطل من عيني (سامح) وهو يتأمل

(نجوى) ..

لاحظت (نجوى) التبدل الكامل في هيئة (حنان) ..

نمّ التقاء حاجبيها ، والغضب في ملامحها عن ذلك ..

أما (سامح) فلم ير شيئاً ..

كانت (نجوى) تملأ عقله ، وتستولي على حواسه ،

حتى لم يعد يرى سواها ..

كل ما فعله هو أن قال دون أن يلتفت إلى (حنان) :

— صباح الخير يا آنسة (حنان) .

غصن حلق (حنان) بدموع بائسة ، وسألته في
صوت متحشرج :

— هل هناك ما تريده ياسيدى ؟

أجابها دون أن يرفع عينيه عن (نجوى) :

— سأطلبك حينما أحتاج شيئاً يا آنسة (نجوى) .

تراجعت ، وأغلقت الباب خلفها في حلق ، وألقت
نفسها فوق مقعدها ...

لم تستطع البكاء هذه المرة ..

كانت تشعر بإحباط لم تشعر بمثله من قبل ..

إنه لم يحاول إلقاء نظرة واحدة عليها ، بعد كل
ما فعلته من أجله ..

تضاعف كرهها لـ (نجوى) ، وغضبها من أسلوبها
الوصولي المتزلف ..

كرهت حتى ذلك التبدل الذى أجرته في ملامحها ..

أخرجت منظارها الطبي من حقيبتها في عصبية ،
ووضعت فوق عينها .

***** ٥٠ *****

نزلت القرط الماسى من أذنيها في ضيق ، وكأنها
تحاول العودة إلى ملامحها القديمة ..

دفنت وجهها بين الأوراق ، وحاولت أن تفرغ
مخبطها في الأوراق ، ولكن كل سطر تسطره كان
يذكرها به ..

ألقت القلم ، وعادت تمخلع منظارها الطبي ، وتسند
ذقنها إلى راحتها ، وتساءلت عما تفعله (نجوى) الآن في
حجرة (سامح) ..

لم نجد جواباً شافياً ، ولكنها كانت موقنة من أنها
لا تفعل شيئاً طيباً ، فالأفعى لا تنفث شهداً ..

كانت محقة في تصورها هذا ، ففي حجرة (سامح)
كانت (نجوى) تقول في لهجة مغرية ، وهى تبسم
ابتسامتها الجذابة :

— العمل فى قسم التخطيط ممتع يا (سامح) ، ولكننى
أريد عملاً يجعلنى أكثر قرباً منك .
سألهما وقد خفق قلبه فى لطفة :

— وكيف يتأتى ذلك ؟

***** ٥١ *****

اقتربت منه في دلال ، وعبثت بأناملها في رباط
عنقه الأنيق وهي تقول في همس :

— ما رأيك أن أنتقل للعمل سكرتيرة لك ؟

هتف في دهشة :

— و (حنان) ؟

قالت في عصبية لم تستطع إخفاءها :

— ما سر تمسكك بهذه السخيفة ؟

قال في حيرة :

— إنها سكرتيرة نشطة ، ونجيد عملها في إخلاص .

هتفت في حدة :

— كل السكرتيرات هكذا .

قلب كفيه في حيرة ، وقال :

— ولكن عملاءنا جميعاً يحسدونني عليها ، ويقولون

إنها أفضل سكرتيرة تعاملوا معها .

أشاحت عنه بوجهها ، وكأنها تعلن رفضها حجته ،

وقالت :

— مجرد مجاملة سخيفة .

أسرع يقول وقد وجد حجة جديدة :

— ولكن منصبك مديرة لقسم التخطيط يفوق منصب
السكرتيرة كثيراً .

عادت تقترب منه ، وقد أودعت شفيتها أكثر

ابتساماتها إغراء وجاذبية ، وقالت :

— المناصب لا تعنيني كثيراً يا (سامح) ، المهم أن

أبقى بقربك طوال الوقت .

بعثت عبارتها نشوة جارفة في أعماقه ، وانتقلت تلك

النشوة إلى عينيهِ الفير وزيتين ، فزادتهما بريقاً وهو يهمس :

— أحقاً يا (نجوى) ؟

ابتعدت عنه في دلال وهي تقول :

— هل تشك في ذلك ؟

خدر دلالها عقله ...

أنساه خيانتها له منذ خمسة عشر عاماً ..

لم يعد يذكر سوى لطفها الزائفة ، وحبها المصطنع ...

ازداد خفقان قلبه وهو يتطلع إليها ، وجف حلقه

وهو يتأمل مفاتها ..

كاد يطلب منها أن تقبله زوجاً ..

ولكن شيئاً ما في أعماقه ألجم لسانه ..

تحذير ما أطلقته خلايا عقله في أعماقه ..

حاول أن يقاوم هذا التحذير ، ويعانده ..

ولكن عقله الباطن أطلق تحذيراً مماثلاً ، واشترك

التحذيران في منع الكلمات من الوصول إلى شفثيه ، فغمغم

في استسلام :

— أنا أيضاً أفضل وجودك إلى جوارى يا (نجوى) .

تألق بريق الظفر في عينيها وهي تنتزع منه هذا

الاعتراف ، وندت من بين شفثيها تنهيدة ارتياح قوية ..

كانت قد أعدت هذه الخطوة الجهنمية بمعاونة

(هدى) في مكتبها ..

لم تحاول أن تطلب منه إقصاء (حنان) بلا سبب ..

جعلت السبب الحقيقي هو رغبتها في البقاء إلى جواره ..

صنعت من نفسها عاشقة تضحى بالمناصب من أجله .

رسمت حولها لوحة من المحبة والإخلاص ..

وزينت اللوحة بدم (حنان) ..

ولم يلحظ هو ما تهدف إليه ..

أعماه حبه وخدعته لهفته ..

اقتربت هي منه ، وقالت في لهفة :

— صدم أمرك بتعييني سكرتيرة لك .

تردد لحظة ، ثم سألها في تخاذل :

— وماذا أفعل بـ (حنان) ؟

لوحث بكفها وهي تقول في حدة :

— افصلها ..

عقد حاجبيه وهو يقول :

— لم أعتد هذا الأسلوب الذي ينطوى على الغدر .

ابتلعت إهائته غير المقصودة ، وقالت وهي تتظاهر

باللامبالاة :

— يمكنك نقلها إلى قسم آخر .

صمت لحظة مفكراً ، ثم قال وكأنه يحدث نفسه :

— إلى أين ؟

هتفت في لهفة :

— قسم المحاسبة مثلاً ، إنه يلائم دراستها .

تردد لحظة قبل أن يقول كلمته ..

شعر ببعض الحجل في أعماقه مما ينوى الإقدام عليه ..

راوده شعور بأنه سيفتقد (حنان) كثيراً ..

أدهشه هذا الشعور ، وأيقظ في قلبه عدداً لا حصر له
من التساؤلات ..

ارتبك حينما وصل إلى هذه النقطة من تفكيره ، فقال
وكأنه يثد هذه الأفكار في مهدىها :

— فليكن ما تشائين يا (نجوى) .

ازداد بريق الظفر في عينيها وهي تقول في لهفة :

— وقع القرار إذن ، وسأخبرها به بنفسى .

وجدها فرصة للفرار من هذا الموقف ، فتناول قلمه
في استسلام ، وهو يقول في صوت تغلب عليه رنة
الأسف :

— فليكن يا (نجوى) .. فليكن .

لم تدر (حنان) شيئاً عما دار بين (نجوى) و (سامح) ،
ولكن قلبها المرهف كان يشعر بالقلق ..

ازداد هذا الشعور حينما رأت (نجوى) تقف أمامها
في ثوبها الأحمر ..

تطلعت إليها بعينين متسائلتين دامتين ..

بدت لها (نجوى) في هذه اللحظة كالشيطان ، بذلك
المزيج من درجات اللون الأحمر ، ما بين الصارخ على
شفتيها ، واللامع على رأسها ..

أرجفتها ابتسامة (نجوى) التي تجمع بين الشماتة
والظفر ..

لم تنبس ببنت شفة حينما مالت (نجوى) نحوها ،
وقالت في شماتة :

— هل يعجبك عمل السكرتيرة يا آنسة (حنان) ؟

ازدردت (حنان) لعابها الجاف ، ودق قلبها
في عنف ، على حين تابعت (نجوى) ، قائلة :

— ما رأيك في الانتقال إلى قسم المحاسبة ؟

اتسعت عينا (حنان) وهي تقول في صوت متحشرج .

— إننى أفضل عملى هنا .

أطلقت (نجوى) ضحكة ساخرة شامتة ، وقالت :

— سبق السيف العزل يا عزيزتى ، لقد وقع (سامح)
قراراً بنقلك .

نعممت (حنان) فى ذهول :

— نقلى ؟ !

لم تصدق ما سمعته أذناها للوهلة الأولى ..

تصورت لحظة أنها خدعة سخيصة من (نجوى) .

رفضت أن تصدق ذلك ..

تفجرت فى أعماقها ثورة مدمرة ..

كادت تقفز وتجذب (نجوى) من شعرها الأحمر فى

غضب ..

ولكن ساقها عجزت عن الحركة ..

وذراعيها تصلبتا فى ذهول ..

وعينيها تحجرتا فى مقلتيهما ..

أقلت (نجوى) الورقة التى تحوى القرار ، وتوقيع

(سامح) أمامها ، وقالت وهى تتأمل آثار خديعتها فى وجه

(حنان) :

— لقد تم نقلك إلى قسم المحاسبة يا عزيزتى .

ثم رفعت رأسها فى خيلاء ، مستطردة :
— وأنا (نجوى حماد) السكرتيرة الجديدة لـ (سامح)
بك .. وداعاً أيتها السكرتيرة القديمة .
وأردفت فى شماعة رهيبة :
— وداعاً .

...



عبرت (حنان) باب منزلها وهي ترتجف من فرط
الانفعال والقهر ، وأسرعت شقيقتها (غادة) تستقبلها
وهي تسألها في لهفة :

— ماذا فعل ؟ .. أخبريني بكل التفاصيل .

تنبت إلى الحزن المحفور في ملامحها ، فهتفت :

— يا إلهي !! ماذا حدث ؟

حاولت (حنان) أن تبيها ، ولكن غصة في حلقها
منعتها من ذلك ، ولاحظت (غادة) ما أصاب شقيقتها
الوحيدة ، فقالت وهي تجذبها إلى حجرتها :

— أنت بحاجة إلى حديث طويل .

سألها (حنان) في صوت متحشرج :

— هل عاد والدي من عمله ؟

أجابتها (غادة) على عجل :

— كلاً .. إنه لم يعد بعد ، ووالدتي منهمكة في إعداد

طعام الغداء ..

أجلستها على طرف فراشها ، وجلست إلى جوارها ،
وسألها في قلق :

— ألم تعجبه هيئتك الجديدة ؟

سالت الدموع على وجنتي (حنان) وهي تقول
في ألم :

— إنه لم يلق عليّ نظرة واحدة .

هتفت (غادة) في دهشة :

— أهذا ما يؤملك إلى هذا الحد ؟ .. إن يكن قد فعل
اليوم ، فلا ريب أنه سيفعل غداً ، أو بعد غد .

ازداد انهمار الدموع من عيني (حنان) وهي تقول
في انهيار :

— إنه لن يراني مرة ثانية .

تطلعت إليها (غادة) في دهشة وتساؤل ، فأردفت

(حنان) وهي تخفي وجهها بكفيها :

— لقد نقلني إلى قسم المحاسبة .

رددت (غادة) في ذهول :

— نقلك إلى قسم المحاسبة ؟ !

هتفت (حنان) وقد حل الغضب محل الحزن في أعماقها :

— لقد فعل بسبب هذه اللعينة .

صمتت (غادة) لحظة ، وقالت :

— ما زلت أصر أن هذا الرجل لا يستحق حبك .

تفجرت (حنان) بالبكاء وهي تقول :

— ولكنني أحبه يا (غادة) .. أحبه .

صاحت (غادة) في حق :

— أي حب هذا الذي ترويه الدموع ؟

عاد الحديث بينهما إلى سرعته وعناده ، حينما قالت

(حنان) في استنكار :

— كل حب يرتوى بالدموع يا (غادة) .

— خطأ شائع .. الحب يرتوى بالسعادة والحنان

والدفء .

— أنواع الحب تختلف .

— لا توجد أنواع للحب ، توجد فقط نوعيات من

المحبين .

— (رومي) و (جوليت) سكبا أنهاراً من الدموع .

*** ٦٢ ***

— وإلى أين انتهيا ؟ .. إلى قبرين رخامين في (فيرونا) .

— ولكن حبهما ظل مثلاً إلى الآن ..

— إنهما لم يتمتعا به أيضاً ، عاشا عذابه ، وفقدوا متعته .

— كانت متعتهما في الحب ذاته .

— ربما ، لكن كلاهما كان يحب الآخر ، ولم يكن حبهما من طرف واحد .

توقف الحديث عند هذه النقطة ، وشحب وجه

(حنان) في ضعف ه على حين عضت (غادة) شفيتها

ندماً على ما تفوهت به ، وتضاعف ندمها ، حينما قالت

(حنان) في ألم وخفوت :

— صدقت يا (غادة) ، لم يكن حبهما من طرف

واحد .

أحاطت (غادة) أختها بذراعيها ، وهمست في أسف :

— لأنني لم أقصد ذلك .

قالت (حنان) في ألم :

— أعلم ذلك يا (غادة) ولكنك لم تكذبي .

*** ٦٣ ***

ثم نهضت ، وواجهت مرآتها تتأمل ملامحها ، وقالت
بعد فترة من الصمت :

— الحب من طرف واحد هو حب مصيره الفشل .
قالت (غادة) في تحاذل ، وكأنها تحاول إصلاح
ما أفسدته :

— إنك لم تفشلى بعد .
استدارت إليها (حنان) ، وتأملتها لحظة وقد استعادت
هدوءها وصرامتها ، وقالت :

— لن أنتظر هذا ، سأترك لها الشركة كلها .
هتفت (غادة) في دهشة :
— تركين الشركة ؟ ! .. هذا هو الفشل بعينه .
وقفزت إلى جوار شقيقتها ، وقالت في حماس :
— إنك هكذا تنسحبين من المعركة ، متنازلة عن
هدفك لغريمتك .

— لقد انتصرت بالفعل .
— لقد ربحت جولة فحسب .
— لم يعد هناك أمل .
— ولم يعد هناك ما تخشيه أيضاً .

— لن أواصل قتالا خاسراً .
أمسكت (غادة) معصم أختها عند هذه النقطة ،
ونظرت إلى عينيها مباشرة وهي تقول :

— صدقيني أنه ليس قتالا خاسراً ، فأمثال (نجوى)
هذه سرعان ما تسقط أقنعتهم الزائفة ، ويبدون على
حقيقتهم ، ولن يدوم هذا طويلاً ، فانتصاريها في هذه
ال الجولة سيفقدها الكثير من الحذر ، ولن تلبث أنيابها أن
تبرز .

قالت (حنان) في عناد :
— نقلى إلى قسم المحاسبة يعد نفياً .
هتفت (غادة) بلهجة أشد عناداً :
— استقالتك هي النفي بعينه .
قالت (حنان) في يأس :
— إنها تخلب ليه تماماً ، ومن الأكرم لي أن أبتعد .
بدت لهجة (غادة) شديدة الحماس وهي تقول :
— بالعكس ، لقد ارتكبت خطأ سرعان ما تندم
عليه أشد الندم .



التفتت إليها (حنان) في دهشة ، وسألتها في تردد :

— خطأ ؟ ١ .. كيف ؟

ابتسمت (غادة) ، وقالت بلهجة العارف ببواطن

الأمر :

— لقد اعتاد (سامح) عمك إلى جواره طوال

السنوات الماضية ، حتى أنه لم يعد يلتفت إليك ، أما حينما

يفتقد نشاطك وإخلاصك ، فالأمر يختلف .

نمغمت (حنان) في شك :

— هل تظنين ذلك ؟

هتفت (غادة) في حماس :

— بلا شك ، لقد أعطتنا تلك الأفعى بخديعتها المبرر

الوحيد لبشر (سامح) بك .

عادت (حنان) تكرر في صوت يُشعر بالأمل :

— هل تظنين ذلك ؟

أومأت (غادة) برأسها إيجاباً ، وقالت :

— سترين أنني على حق ، هل نسيت أنني أدرس علم

النفس في الكلية ؟

عادت (حنان) تتطلع إلى وجهها في المرأة ، وقد

راودها بعض الأمل ، وهمست وهي تعيد تصفيف

خصلات شعرها الكستنائي القصير :

— ترين أنه من الأفضل أن أظل في الشركة إذن ؟

هتفت (غادة) :

— بالطبع .

ثم وضعت كفها على كتف شقيقتها ، وقالت في

حنان :

— سيصنع الله — سبحانه وتعالى — ما هو أفضل

للجميع ، وصدقيني إنه سيخسر كثيراً لو أنه فقدك ،

وسيكون من سوء حظه أن يتزوج هذه الأفعى .

نمغمت (حنان) :

— نعم يا (غادة) ، سيفعل الله — سبحانه وتعالى —

ما فيه خير الجميع .



اندفعت (هدى) إلى حجرة (نجوى) الجديدة ،
وهي تهتف في لهجة تقطر نفاقاً :

— يا للبدر الذى يضىء الحجرة !!

واحتضنتها وهي تستطرد في خبث :

— أهنتك على نجاح الخطة يا عزيزتى .

ابتسمت (نجوى) في خيلاء ، وقالت وهي تداعب
خصلات شعرها الأحمر كدأبها :

— لا أحد يمكنه الصمود أمامى إذا ما قررت الحصول
على شيء يا (هدى) .

ثم استطردت وهي تسألها في لهفة :

— هل تسلمت (حنان) عملها في قسم المحاسبة ؟

أومأت (هدى) برأسها إيجاباً ، وقالت وهي
تغمز بعينها :

— إنها تعمل هناك منذ البارحة ، ولكنها عادت إلى
مظهرها القديم .

ابتسمت (نجوى) في شماتة ، وقالت وهي تمط
شفتيها في احتقار مصطنع :

— لست أدري كيف أمكنها قبول الأمر بكل هذا
الاستسلام ؟ .. ألا يحط من قدرها قبول عمل يقل عما
كانت تؤديه مسبقاً .

تراقصت ابتسامة خبيثة على شفتي (هدى) ، دون
أن تعلق على عبارات (نجوى) ..

لم تحاول حتى أن تشير إلى أن هذا لا يختلف كثيراً عما
فعلته (نجوى) ، حينما قبلت منصب السكرتيرة بدلا من
منصب مديرة إدارة التخطيط ..

علاقة عجيبة تلك التى تنشأ بين الأفاعى ...

قد تشتركان في بث سمومهما في جسد عدوهما ..

ولكنهما تتصارعان من أجل أن تحصل كل منهما على
النصيب الأكبر ..

قد تتعاونان يوماً ..

ولكن كليهما لا تأمن جانب الأخرى مطلقاً ..

هكذا كانت العلاقة بين (نجوى) و (هدى) ..

كانت (نجوى) تتلهف للاسترسال في الحديث عن
(حنان) ، حينما دخل المقاول البدين (عطوان) ،
صاحب شركة المقاولات الحرة ، وهتف في مرح :
- صباح الخير يا آنسة (حنان) ، كيف ...
بتر عبارته فجأة حينما رأى (نجوى) في مقعد (حنان) ،
فهتف في دهشة :

- أين الآنسة (حنان) ؟
رفعت (نجوى) أنفها في خيلاء ، وقالت :
- لقد نقلت إلى قسم المحاسبة ، وأنا السكرتيرة الجديدة .
تراقصت ابتسامة خبيثة على شفثيه ، وهو يتأمل جمالها
الصارخ ، قائلاً :

- ونعم السكرتيرة يا سيدة ..
انتظر لحظة ، ثم أردف في تخابث :
- (نجوى حماد) حسبما أذكر .. أليس كذلك ؟
اغتنصبت (نجوى) ابتسامة وهي تقول من بين أسنانها :
- لك ذاكرة قوية يا سيد (عطوان) ، إننا لم نلتق
سوى مرة واحدة ، في أول زيارة لي للأستاذ (سامح) .

نمز بعينه وهو يقول في لهجة القادر على استنباط
الأمر :

- ولكنني قدرت حينئذ أنه سيكون لك شأن كبير
في هذه الشركة .
عادت تغتصب ابتسامة ثانية في صعوبة ، على حين
هتفت (هدى) في تملق :

- أنت ذكي ولماح دائماً يا (عطوان) بك .
ابتسم (عطوان) في غرور ، وسألها :
- هل وصل الأستاذ (سامح) يا جميلتي ؟
أسرعت (نجوى) تقول في ضيق :
- إنه لم يصل بعد .

لوح (عطوان) بكفه في حركة مسرحية ، وقال :
- سأنتظره في مكتبه إذن .
تبعته (نجوى) ببصرها ، حتى غاب في مكتب (سامح)
ثم قالت في حنق :
- يا له من رجل بغیض !! كيف يحتمله (سامح) ؟
ابتسمت (هدى) في خبث ، وقالت :

— ألا تعرفين من هو هذا الرجل ؟ .. إنه صاحب
أكبر شركة مقاولات خاصة في الشرق الأوسط .

هتفت (نجوى) في استنكار :

— هذا البدين ؟ !

قالت (هدى) وهي تومئ برأسها :

— هذا البدين يمتلك تلا من الأموال ، إن المليون جنيه
لا تساوى لديه خردلة .

رفعت (نجوى) حاجبيها في دهشة ، وقالت :

— إلى هذا الحد ؟

واصلت (هدى) وهي تتأمل انفعالات (نجوى) في
اهتمام :

— إنهم يقولون في عالم الأموال إنه قادر على إنفاق
ربع مليون جنيه أسبوعياً ، دون أن تتناقص ثروته قرشاً
واحداً .

صرخت (نجوى) من فرط انفعالها ودهشتها ،
ثم لاذت بالصمت ، وانعقد حاجباها دلالة على تفكيرها
العميق ...

لم يخف انفعالها على (هدى) ، التي أردفت في خبث :

— وهو متزوج من امرأتين ، وله خمسة أبناء .

ازداد انعقاد حاجبي (نجوى) وهي تقول في عصبية :

— وماذا يعني من معرفة قصة حياته ؟

قالت (هدى) في لهجة تقطر خبثاً :

— ظننت أن الأمر يعنيك .

شعرت (نجوى) بالضيق والغضب ..

ربما لأنها عرفت أن (هدى) قرأت أفكارها ،
وفهمت ما يجول بخاطرها ..

وربما لأنها صارحت نفسها لحظة بوصوليتها ،
وانتهازيتها ، وعشقها للمال ..

أرادت أن تدير دفة الحديث ، فقالت في توتر :

— لماذا تأخر (سامح) حتى الآن ؟ إنها التاسعة
والنصف ، وهو يحضر دائماً في تمام التاسعة .

تألق الدهاء والخبث في عيني (هدى) وهي تقول :

— لقد حضر في التاسعة بالفعل .

تطلعت إليها (نجوى) في دهشة ، ثم قالت في عصبية :

— لماذا لم بحضر إلى مكتبه إذن ؟

نظرت (هدى) في عينيها مباشرة ، وقالت في لهجة أقرب إلى الشماتة :

— لقد ذهب إلى قسم المحاسبة .

أصاب الطعنة (نجوى) في أعماقها ، فصرخت في ذهول :

— قسم المحاسبة ؟ !

لم تكن دهشة (حنان) بأقل من دهشة (نجوى) ، حينما وجدت (سامح) أمامها في قسم المحاسبة ...

خفق قلبها ، واضطرب بين ضلوعها ..

ارتجف جسدها ، وتوترت أعصابها ..

ولكن عينيها أعادت إليها الأمل ..

كان يتطلع إليها في اهتمام ، وعيناه الفيروزيتان

تجوبان ملاحظها في لهفة ..

وهناك فوق شفثيه ارتسمت أجمل ابتسامة رأتها في

حياتها ..

ابتسامة تجمع بين الراحة والاعتذار ..

ضممتا طويلا وكلاهما يتطلع إلى الآخر ، ثم همس هو :

— هل راقك العمل في قسم المحاسبة ؟

قالت في لهفة :

— سيروقني كل ما يسعدك يا أستاذ (سامح) .

تنهت إلى ما تشي به كلماتها بما يعتمل في قلبها ،

فتصاعدت الدماء إلى بشرتها البيضاء ، واصطبغ وجهها

بحمرة خجل قانية ، ولكنه لم يلحظ شيئا من كل هذا ،

وقال في لهجة هي أقرب إلى الاعتذار :

— اضطرتني الظروف إلى نقلك .

قالت في سعادة :

— لا بأس يا سيدي ، إنني أتقبل ذلك بنفس راضية .

عاد يتأمل ملاحظها في فضول ..

خيل إليه أنه يراها لأول مرة منذ تسلمت عملها في

شركته ..

اكتشف فجأة أنه يهوى لون شعرها الكستنائي ..

وأن عينيها جذابتان للغاية ..

شعر بخنين جارف إليها .. وأدهشه هذا الشعور ..

لأنها تعمل سكرتيرة له منذ ثلاث سنوات دون أن
ينتبه إلى محاسنها ..

ماذا أصابه إذن ؟ ..

حار السؤال في ثنايا عقله ، دون أن يجد له جواباً ..

وقرأت هي كل هذا في عينيه الفيروزيتين ..

انتابها شعور حالم وهي تلمح الحنين في عينيه ..

رقص قلبها بن جوانبها لأول مرة في صدق ..

ذاب قلبها في عينيه ، وامتزجت روحها بروحه

لثانية واحدة ..

ولكن القدر لا يمنح كل شيء دفعة واحدة ..

كانت هناك عينان أخريان ترقبان هذا اللقاء

ذا الحنين الدافق ..

عينان لها لون الذهب حينما يختلط بالماء ..

منهما يطل حقد دفين ، وكراهية لا مثيل لها ..

كانتا عيني (نجوى) ، التي قالت في برود :

— الأستاذ (عطوان) ينتظرك في مكتبك منذ عشر

دقائق يا (سامح) بك .

آخرجهما كلماتها الباردة من لحظتهما الأولى ..
بترت أول حديث كادت تنطلق فيه مشاعرهما ..
شعرت (حنان) أن كراهيتها لـ (نجوى) قد
تضاعفت ..

وبوغت (سامح) وهو يلتفت إليها في ارتباك ،
كطفل ضبط متلبساً بعمل خاطئ ..

ساد صمت مشوب بالتوتر طويلاً ، ثم قال (سامح)
في ارتباك :

— كنت أتفقد قسم المحاسبة و ..

قاطعته (نجوى) في برود :

— إنها شركتك يا (سامح) بك .

أعادت إليه عبارتها وضوح الرؤية ..

تذكر أنه صاحب الشركة الحقيقي ، وأنه ليس من
حقها أن تعامله بكل هذا البرود ، حتى ولو كان غارقاً
في حبها ..

دفعه هذا إلى أن يقول في جفوة :

— حسناً .. سأصعد فور انتهائي من تفقد قسم المحاسبة .

صدمتها خشونته ..

خشيت معها أن تنهار خطتها كلها ، فتظاهرت
بالخضوع وهى تقول :

— كما تأمر يا (سامح) .

تعمدت أن تنطق اسمه مجرداً بصوت متهدج ..

أرادت أن توقظ مشاعره القديمة تجاهها ..

ويبدو أن أسلوبها الثعبانى قد أفلح ..

تملكه الندم على خشونته تجاهها ، وقال فى أسف :

— سأصعد على الفور يا (نجوى) .

تركته يغادر قسم المحاسبة وحده ، دون أن تتبعه ،

واستدارت إلى (حنان) تحدجها بنظرات نارية ..

ولكن (حنان) لم تبال بنظراتها الحاقدة هذه المرة ..

كانت تلك الكلمات القليلة التى تبادلتها مع (سامح) ،

قد أيقظت فى نفسها الأنوثة والثقة ، وأنعشت فى قلبها

الأمل والحب ..

لأول مرة فى حياتها شعرت أن (سامح) قد بدأ

يتم بوجودها ..

وكان هذا الشعور يكفياً ..

لأنها حتى لم تبال حينما اقتربت منها (نجوى) ، وسألتها
فى عصبية :

— ما اللعبة التى تمارسيتها بالضبط ؟

أجابتها (حنان) فى برود :

— ليس من عادتى اللعب والتخطيط .

ثم أردفت فى لهجة ذات معنى :

— هناك من لا يمكنهم العيش دون ذلك .

احتقن وجه (نجوى) غضباً ، وقالت فى حنق :

— إنك تشعلين حرباً لن يمكنك الصمود فيها ..

أشاحت (حنان) بوجهها بلا مبالاة ، فازداد غضب

(نجوى) وهى تقول :

— اسمعى أيتها المتكبرة .. لقد نفذت وعيدى مسبقاً

بإقصائك عن عمل سكرتيرة المدير العام .. أما الآن فأنا

أحذرك .

تطلعت إليها (حنان) فى تحد وبرود ، فاستطردت

هى فى غضب زاد حتى وصل إلى ما يقرب من الصراخ :

عاد (سامح) إلى منزله ، وأغلق الباب خلفه في هدوء كعادته ، ثم توجه من فوره إلى حجرة نوم والدته العجوز ، التي استقبلته بابتسامة حنون وهي تسأله :
- كيف كان يومك يا ولدي ؟

انحنى يقبل يدها في احترام وإجلال ، وابتسم بأقصى ما يسمح به ذلك التعب الذي يملأ جسده ، وقال :

- في خير حال يا أماه ، ما دمت تواصلين دعواتك من أجلى .

ربتت أمه على رأسه في حب وإعزاز ، وهمست في حنان :

- فليبارك لك الله - سبحانه وتعالى - يا ولدي .
عاد يقبل يدها في احترام ، ثم انسحب إلى حجراته في هدوء ..

بدل ثياب العمل ، وارتدى منامته على عجل ، ثم استرخى فوق فراشه ..

- لو انك لم تكفى عن محاولة إيقاع (سامح) في شباكك ، فسأعمل على طردك تماماً من هذه الشركة ..
هل تفهمين ؟

ظلت (حنان) على برودها وتحديها ، فاستدارت (نجوى) في حدة ، وغادرت مكتب (حنان) ، وأغلقت الباب خلفها في عصبية ، وقد قررت الاستمرار في المعركة ، حتى تدمر غريمها تماماً .



انطلقت أفكاره - دون وعي منه - إلى ما حدث
ذلك الصباح في قسم المحاسبة ..

بعثت الذكرى في نفسه نهراً من التساؤلات ..
تساءل عن سبب تلك اللهجة الباردة ، التي تحدثت
بها إليه (نجوى) هناك ..

أعاد ذكر (نجوى) نهر ذكرياته إلى منبعه ..
إلى خمسة عشر عاماً مضت ..

عاد يتذكر كيف كان و (نجوى) عاشقين تضرب
بهما الأمثال ..

كيف كانت لطفتها وسعادتهما ..
كيف كان حبهما ..

تملكه شعور بالاختناق عندما تذكر ذلك اليوم الذي
علم فيه بزواجها ..

كانت الصدمة قاسية عنيفة حينذاك ..

لقد أخفت (نجوى) النبا حتى آخر لحظة ..
التقيا قبل زفافها بليلة واحدة دون أن تخبره ..

كانت تضحك وتلهو دون أن يبدو عليها أثر الخيانة ..
وفي اليوم التالي تزوجت ..

انهارت مشاعره - يومئذ - وسقط صريع المرض ..
كره الدنيا ، وكفر بالحب والوفاء والإخلاص ..
ودع الحياة ، وتمنى الموت ..
لولا والدته ..

تلك السيدة التي يفيض الحنان من قلبها أنهاراً وبحاراً ..
كانت تتعذب من أجله في صمت ..

دموعها فقط أدارت كل حديث بينهما حينذاك ..
تركته يفرغ أحزانه وآلامه .. يأسه وغضبه .. حقه
وكراهيته ..

حتى شعرت أن الوقت قد حان ، فتدخلت ..
ابتسم في سعادة حينما استعاد ذكرى حنانها الدافق
في تلك الأيام ..

كان الوحيد الذي بقي لها من دنياها ..
توفي زوجها الذي أحبته بعد عامين فقط من الزواج ..
ولم يترك لها سوى (سامح) ..

عاشت حياتها من أجله ..

منحته كل ما لديها من حب وحنان وأمل ..

راقبته في سعادة وهو ينمو ويتفوق ، ويلتحق بكلية الهندسة ..

خفق قلبها فرحاً حينما أخبرها عن حبه ..

وانفطر قلبها حزناً عندما تحطم هذا الحب وانهار ..

تمزقت نفسها وهي تراه يتمزق أمامها ..

ولكن فطرتها الطيبة جعلتها تنتظر ..

حتى أحست أنه قد أفرغ شيطان الغضب من أعماقه ..

وحينئذ اقتربت منه بكل حنانها ..

تركته يبكي على كتفها ويشكو ..

اتسعت ابتسامته (سامح) الحانية وهو يستعيد ما فعلته

أمه في ذلك اليوم ..

يكفي أنها حولت أحزانه وغضبه إلى حماس ورغبة في

النار ..

يومها حزن على العام الدراسي الذي فقده ..

حزن لأن هذا يظهره بمظهر المهزوم أمام (نجوى) .

امتلات نفسه بالرغبة في أن يحول هذه الهزيمة إلى نصر ..

وانطلق في حياته من نصر إلى نصر ..

دفعته رغبته في إثبات خطأ (نجوى) في رفضه ..

وذاق ثمرة النجاح في النهاية ..

أصبح مهندساً ناجحاً ثرياً ، يتألق اسم شركته الهندسية

عالياً في عالم رجال الأعمال ..

وتحقق له النصر الكامل ، حينما سعت إليه (نجوى) .

عاد بذكريته مرة ثانية إلى ما حدث في قسم المحاسبة ..

تذكر (حنان) ، والسعادة التي تألفت في عينيها

حين رآته ..

تساءل عن مشاعرها نحوه .. وأدهشه أنه لم يلحظ

ذلك طوال عملها إلى جواره ..

عاد يتساءل عن سر لهجة (نجوى) الباردة ..

ترى هل تعود إلى غيرتها عليه من (حنان) ؟

بعث هذا التصور في نفسه نشوة غامرة ..

إنها تحبه إذن ما دامت تغار عليه إلى هذا الحد ..

لقد عادت إليه أخيراً .. فهل يتزوجها هذه المرة ؟

هل يحقق الآن ما عجز عن تحقيقه منذ خمسة عشر عاماً ؟
تقلب في حيرة وهو يسأل : ولم لا ؟
في نفس اللحظة كانت (حنان) تتقلب أيضاً على حجر
الحيرة .. ولكنها كانت حيرة من نوع آخر ..
حيرة تتمزج بالسعادة والأمل ..

كانت ترقد إلى جوار شقيقتها (غادة) فوق فراشها ،
وكان الحديث يدور بينهما في همس ، وكأنهما تخشيان
ابتدال هذه اللحظات بالصوت المرتفع ..

كانت (حنان) قد قصت تفاصيل ما حدث في قسم
المحاسبة على (غادة) ، فقالت هذه الأخيرة في حماس :
— أ رأيت أنني كنت على حق ؟ .. لقد أيقظ ابتعادك
عنه نار اللهفة في قلبه ..

صمتت (حنان) لحظة ، وكأنها تستعيد ذكرى هذه
اللحظات ، ثم قالت في همس :

— لقد تصورت هذا في البداية ، ولكن ظهور
(نجوى) أصابه بارتباك لا مثيل له .

ثم هزت رأسها وهي تردف في حيرة :
— لم أعد أفهمه .

صمتت (غادة) ، وكأنها تقلب الأمر في رأسها من
كل الوجوه ، ثم قالت :

— سيمضي وقت طويل قبل أن يسقطها من قلبه .
قالت (حنان) :

— هذا لو أنه فعل .

نغمضت (غادة) في ثقة :
— سيفعل :

رفعت (حنان) رأسها قليلاً عن الفراش ، وهتفت
في دهشة :

— لم تبدين واثقة هكذا ؟

ابتسمت (غادة) في ثقة وهي تقول :

— لأنه لم يعد يحبها ، وإنما هو يعد عودتها إليه
انتصاراً يحاول المحافظة على وقعه طويلاً ، ولكنها هي تأتي
كل ما يضايقه ، حتى أنها تنتزع شعوره هذا بالانتصار
تدريجياً ، ولن يلبث أنه يفقد لفته القديمة ، وحينئذ

سيتلاشى ذلك الحب الزائف في أعماقه ، ويراها على حقيقتها .

حاولت (حنان) الاستسلام لمنطق شقيقتها ، ولكن سؤالاً ألح في أعماقها ، وانتقل إلى شفيتها وهي تقول :

— قد تنتبه تلك الأفمى إلى ذلك ، وتحسن التراجع في ذكاء ، ولقد أخبرتك كيف تبدلت لهجتها من البرود إلى الدلال والاستكانة ، حين بدا غضبه في نبراته .

صمتت (غادة) طويلاً مرة أخرى ، ثم أجابتها :

— كل ما عليك هو الانتظار .

هتفت (حنان) :

— هكذا في سلبية .

قالت (غادة) وهي توليها ظهرها ، وكأنها تنهى الحديث :

— انتظري أو قاتلي بأسلوبها .

غمغمت (حنان) في دهشة :

— بأسلوبها ؟ !

ثم لاذت بالصمت ، وانطلق عقلها يبحث عن الجواب في حيرة ..

لم تكن الحيرة من نصيب (سامح) و (حنان) وحدهما هذه الليلة ، فهناك أيضاً في منزل (نجوى) انبعثت حيرة من نوع ثالث ..

كانت (هدى) تقول لـ (نجوى) ، التي بدت في قمة عصبيتها :

— لقد أخطأت حينما تحدثت إليه بهذا الأسلوب البارد ...

لوّحت (نجوى) بكفها في عصبية ، وقالت :

— لم أحتمل رؤيته وهو يتطلع إليها بكل هذا الشغف .

ابتسمت (هدى) وهي تقول في دهاء :

— يبدو أن هذه الفتاة تمثل غريباً قوياً لك .

هتفت (نجوى) في غضب :

— هيهات أن تنتزع مني (سامح) ، حتى لو وصل بي الأمر إلى قتلها .

قالت (هدى) فى لهفة :

— ما رأيك فى اتخاذ أسلوب جديد ؟

تلقت إليها (نجوى) بعينين متسائلتين ، فاستطردت :

— لقد نجحنا فى إبعاد هذه الفتاة عن العمل إلى

جواره ، ولكن هذا زاد من اهتمامه بها ، وستنتهز هى الفرصة بالطبع ، إلا إذا حطمتها أمامه تماماً .

سألها (نجوى) وقد استيقظت الطبيعة الوحشية فى

أعماقها :

— كيف ؟

قالت (هدى) فى غموض :

— نجعلها تقع فى غرام رجل آخر .

عقدت (نجوى) حاجبها وهى تقول فى غضب :

— إنها ليست من هذا النوع .

أسرعت (هدى) تقول :

— لا داعى لأن تقع فى غرامه بالفعل ، المهم أن

يتصور الأستاذ (سامح) ذلك .

ظلت (نجوى) تحدق فى وجه (هدى) بعض الوقت ،
ثم قالت فى حماس :

— فكرة رائعة !! ف (سامح) لا يحتمل الخيانة ،

ومجرد شكه فى حقيقة مشاعرهما سيدفعه إلى نبذها تماماً و ..

وبترت عبارتها فجأة وهى تعود إلى عقد حاجبها ،
قائلة :

— ولكن من هو هذا الرجل المفترض أنها وقعت
فى غرامه .

غمغمت (هدى) وهى تفكر :

— لن نعجز عن إيجاد شخص منطقي ..

ثم هتفت فجأة :

— ما رأيك فى (عطوان) ؟

قلبت (نجوى) شفتيها فى اشمئزاز ، وقالت :

— ذلك المقاول البدين ، من تلك التى تقع فى غرام

رجل مثله ؟

أجابتها (هدى) فى خبث :

— كثيرات هن من يقعن فى حب أصحاب الملايين .

ثم أردفت وهي ترقب انفعالات (نجوى) في دهاء :

— خاصة عندما يكونون أمخياء مثل (عطوان) .

سألها (نجوى) وهي تشرد بأفكارها :

— أهو سخي حقاً ؟

أجابتها في دهشة مصطنعة :

— (عطوان) بك .. إنه أكثر سخاء من (حاتم

الطائي) نفسه ، ليتك ترين زوجتيه ، إنهما تسبحان في
بحار العز والثراء .

غمغمت (نجوى) وقد تخيلت نفسها بالغة الثراء :

— أحقاً ؟ !

ثم استعادت جديتها وهي تقول :

— ولكن (عطوان) يمكنه أن ينفي الأمر إذا ما سأله

(سامح) .

غمزت (هدى) بعينها ، وقالت في دهاء :

— يمكننا أن نرتب الأمر بحيث يبدو نفيه إثباتاً .

سألها في لهفة :

— كيف ؟

وضعت (هدى) إحدى ساقيها فوق الأخرى ،

وقالت في خبث :

— سنقنع الأستاذ (سامح) أن (حنان) و (عطوان)

يلتقيان سرّاً ، وأنها تستهدف ثراءه الفاحش و ..

قاطعتها (نجوى) وهي تهتف :

— مهلاً يا (هدى) ، لقد انتظمت في عقلي خطة

جهنمية .

وأسرعت إلى حجرة نومها ، على حين هتفت (هدى) :

— أخبريني بها على الأقل .

عادت (نجوى) من حجرة نومها وهي تقبض راحتها

على شيء ما ، وقربت راحتها من وجه (هدى) ، ثم

فتحتها وهي تقول :

— سأدفع هذا ثمناً لتحطيم تلك المغرورة ،

وسيعوضني زواجي من (سامح) أضعافه .

شهقت (هدى) من منظر الخاتم الماسي المتألق في

راحة (نجوى) ، وصاحت في انبهار :

— يا إلهي !! إنه يساوي خمسة آلاف جنيه على الأقل .

ابتسمت (نجوى) فى خيلاء ، وقالت :

— ستكون هذه الآلاف الخمسة ثمناً لخلاصى من
تلك المغرورة ، وزواجى من (سامح) .

سألتها (هدى) فى لهفة :

— كيف ؟

ابتسمت وهى تقول فى شراسة وغموض :

— سترين .

* * *



٩ - الصدمة ..

ابتسم (سامح) وهو يعبر باب حجرة (نجوى) ،
الملحقة بمكتبه ، وقال وهو يتطلع فى شوق إلى ملامحها
التألقة هذا الصباح :

— كيف حالك يا (نجوى) ؟

ابتسمت فى دلال وإغراء وهى تقول :

— فى خير حال يا (سامح) ، كيف أنت اليوم ؟

امتلات ابتسامته بالهيام وهو يقترب منها ، قائلاً :

— سعيد برؤيتك يا (نجوى) ، أنت رائعة الجمال
هذا الصباح .

كانت تنتظر هذه العبارة ، فقالت فى سرعة :

— إننى أمتع نفسى كثيراً حتى لا يذوى جمالى ، لقد

قضيت سهرتى البارحة فى ملهى صغير فى هضبة الهرم ،
هل تعلم من التقيت به هناك ؟

سألها وهو يتأمل ملامحها الجميلة :

— من ؟ !

نظرت في عينيه مباشرة وهي تقول في بطاء :

— (عطوان) بك صاحب شركة المقاولات الحرة ،
والآنسة (حنان) .

تجلت دهشته وهو يهتف .

— معاً ؟ !

هزت (نجوى) كتفها ، وقالت :

— وماذا في ذلك ؟ .. إنه رجل يهوى النساء
الجميلات ، وهي تهوى الأثرياء .

صاح في استنكار :

— هذا مستحيل ، ليست (حنان) من هذا النوع .

تظاهرت باللامبابة وهي تقول :

— ربما ! .. ولكنني أعتقد أن الفتاة التي تقبل من
رجل — لا تربطها به أية صلة — هدية يصل ثمنها إلى ما يقرب
من خمسة آلاف جنيه ، هي فتاة مادية ولا شك .

شهق من المفاجأة وهو يقول :

— خمسة آلاف جنيه ؟ !

قالت في غضب حقيقي :

— وماذا يضايقك في هذا الأمر ؟ إن (حنان) هذه
لا تمت لك بصلة قربي ، وأنت لست وصيًّا عليها ، فلتفعل
ما بدا لها ..

ألجمته عبارتها ، وأيقظت فيض مشاعره ..

انطلق في عقله تساؤل قوى يبحث عن إجابة ..

لماذا أصابه كل هذا الضيق حقًّا ، حين أخبرته
(نجوى) عن علاقة (حنان) بـ (عطوان) ؟

لماذا استنكر في أعماقه تردّي (حنان) إلى هذا الدرك ؟

لم يجد جواباً لسؤاله ، فقال في ضيق :

— فلتفعل ما بدا لها ..

ثم تحرك نحو مكتبه في توتر ، ولم يكذ يبلع بابه حتى

سمع صوت (عطوان) من خلفه يقول :

— صباح الخير يا (سامح) بك ، من حسن حظي

أن حضرت في موعد قدومك تماماً ..

استدار إليه (سامح) في حدة لم يألّفها ، على حين



شحب وجه (نجوى) وهى تخشى فشل خطتها قبل أن تستقر كلماتها فى عقل (سامح) ..

أما (عطوان) فإنه لم ينتبه إلى انفعاليهما ، والتفت إلى (نجوى) ، وقال فى نعومة :

— صباح الخير يا جميلة الجميلات .

ثم تحرك نحو (سامح) ، وقال وهو يصافحه فى مرح :

— إننى أحتاج إلى استشارة هندسية عاجلة يا (سامح)

بك .

أجابه (سامح) فى حدة لم ينتبه إليها (عطوان) :

— أنا أيضاً أريدك يا سيد (عطوان) .

تقدم (سامح) نحو مكتبه فى خطوات سريعة ، على

حين تفهقر (عطوان) لحظة ، ووضع أمام (نجوى)

علبة صغيرة ملفوفة فى غلاف أنيق ، وهو يغمز بعينه فى

صفاقة ، قائلاً :

— النبى قبل الهدية .

ثم أسرع إلى مكتب (سامح) ، وأغلق الباب خلفه ..

تناولت (نجوى) العلبة ، ودستها فى حقيبتها بحركة

آلية ، ثم أسرعتنا تناول مسماع الهاتف ، وطلبت الرقم الداخلى لمكتب (هدى) ، ولم تكذب تسمع صوتها حتى قالت فى همس :

— يبدو أن خطتنا ستفشل يا (هدى) ، لقد وصل (عطوان) توتاً ..

لم يكن (عطوان) يدرى شيئاً عن المؤامرة التى اشترك فيها على الرغم منه ...

كل ما لاحظته هو أن (سامح) لم يكن يقظ الذهن كعادته هذا الصباح ، فسأله فى اهتمام :

— ماذا بك يا (سامح) بك ؟ .. إنك تبدو شاردأ .

تطلع إليه (سامح) فى غضب ، وتردد طويلاً قبل أن يسأله :

— يقولون إنك تنسج شباكك حول واحدة من موظفات الشركة يا (عطوان) .

ابتسم (عطوان) فى فخر ، وقتل شاربيه وهو يقول :

— لا يمكن إخفاء الأنباء فى هذا العالم ..

ثم مال نحو (سامح) ، وأردف فى جدية :

— ولكننى أستهدف غرضاً شريفاً يا (سامح) بك ،
أقسم على ذلك .

نعمم (سامح) فى دهشة :

— غرضاً شريفاً ؟

تراجع (عطوان) بمقعده ، وقال :

— بلا شك .. الزواج .

شعر (سامح) بغضب جارف يحتاج مشاعره ..

أدهشه أن يغضبه زواج (حنان) إلى هذا الحد ..

تذكر فجأة النظرات التى كان (عطوان) يلتهم بها

(حنان) كلما رآها ..

انتابته غيرة شديدة وهو يتذكر ذلك .

انعكس ذلك على صوته ، الذى بدا أكثر خشونة

وهو يقول :

— ولكنك متزوج من امرأتين ، ولك خمسة أبناء .

عقد (عطوان) حاجبيه وهو يقول :

— ولكن الشرع أعطانا الحق فى أربع زوجات ،

وأنا قادر على إعالتهم جميعاً على أكمل وجه .

تضاعف الغضب والغيرة فى قلب (سامح) ..

أضيف إليهما شعور بالندم لم يدر له سبباً ..

ومال نحوه (عطوان) وهو يسأله فى قلق :

— أخبرنى .. هل يهيك أمر هذه الموظفة ؟

انتفض وهو يقول فى غضب :

— كلا بالطبع .

كان يعلم أنه كاذب ، ولكنه لم يجرؤ على إعلان

مشاعره ، وضايقه أن (عطوان) تنهد فى ارتياح ، وقال :

— لن يضايقك زواجى منها إذن .

غص حلق (سامح) حينما سمع عبارة (عطوان) ،

وبدأ صوته متحشراً مختنقاً وهو يسأله :

— وماذا عن هديتك لها ؟

حدّق (عطوان) فى وجهه بدهشة ، ثم لم يلبث أن

أطلق ضحكة عالية ، وقال :

— لقد لاحظت ذلك . أليس كذلك ؟

ثم أردف دون أن ينتظر جواباً :

— إنها مجرد هدية صغيرة للتعبير عن مشاعرى .

قال (سامح) في عصبية :

— هدية صغيرة بخمسة آلاف جنيه ؟ !

هز (عطوان) كتفيه ، وقال :

— إنها لا تساوي أكثر من ثلاثة آلاف في الواقع .

أثار هذا الاعتراف مزيداً من الغيرة والغضب في أعماق (سامح) ، فتجاوز عن هذا الحديث ، ونقل الحوار إلى النقطة الهندسية ، التي قدم (عطوان) لاستشارته بشأنها ، واستمر الحديث بينهما طويلاً حتى غادره (عطوان) .. جلس في مكتبه شاردأً واجماً ..

تساءل للمرة العاشرة عن سبب ضيقه من علاقة (حنان) و (عطوان) ..

انتابته رغبة عارمة في لقاء (حنان) وسؤالها عن الأمر .. تردد طويلاً قبل أن يفعل ..

ثم نهض من مكتبه ، وتحرك نحو باب حجرته في سرعة ..

لم يكد يفتح باب الحجره ، حتى وقع بصره على (هدى) و (نجوى) وهما تهماसान ..

ابتعدت كل منهما عن الأخرى في حدة ، وشملهما وجوم مفاجئ ..

لم يخف ذلك الانفعال عن (سامح) الذي سألهما في عصبية :

— ماذا حدث ؟

ارتبكت (نجوى) ، ولم تحر جواباً ، على حين أسرع (هدى) تقول :

— معذرة يا أستاذ (سامح) ، كنت أتحدث مع السيدة (نجوى) عن (حنان) .

أدهشه أن تصارحه بمثل هذا الأمر ، فعاد يسألها في توتر متزايد :

— وماذا يدعو إلى الحديث عن (حنان) هنا ؟

ابتسمت (هدى) في خبث ، وقالت :

— عفواً يا أستاذ (سامح) ، ولكن الآنسة (حنان) حديث الشركة بأكلها منذ الصباح .

وصل توتره إلى ذروته وهو يهتف :
— لماذا ؟

قالت (هدى) وهى ترقب انفعالاته فى اهتمام ومكر :
— لأنها ترتدى خاتماً من الماس يساوى خمسة آلاف
جنيه على الأقل .

انهار توتره فى لحظة ...

تحول إلى دفق من الغضب والإحباط ..

كان يتمنى أن يكون كل ما سمعه منذ الصباح خداعاً .

كانت معرفته بـ (حنان) هى الأمل الوحيد الذى

يستند إليه ..

وقد تحطم هذا الأمل مع كلمات (هدى) ..

اندفع دون أن يدرى إلى قسم المحاسبة ، وارتجفت

يده وهو يدفع باب مكتب (حنان) ..

قفزت هى من مقعدها وهى تهتف فى سعادة :

— أستاذ (سامح) !! .. مرحباً بك فى مكتبى .

أدهشها أنه لم يجيبها بكلمة واحدة ..

إنه لم يسمع كلماتها فى الواقع ..

لقد انتقل بصره فى لفة إلى أصابعها ..

سرت فى أطرافه برودة كالثلج حينما رأى ذلك الشيء

التألق فى وسطى يمينها ..

كان ذلك الخاتم الماسى ذو الخمسة آلاف جنيه ..

تقدم منها فى حدة ، وأمسك معصمها يرفعه إلى وجهه

وهو يسألها فى عصبية :

— كيف حصلت على مثل هذا الخاتم الثمين ؟

صاحت فى دهشة وألم من الطريقة العنيفة التى يمسك

بها معصمها ، وقالت فى ألم :

— إنه هدية .

شحب وجهه وهو يغمغم :

— هدية ؟ !

إذن فكل ما سمعه عنها صحيح ..

إنها تسعى خلف المال ، وستزوج من أجله ..

لقد تحطم الميل الذى كان يشعر به نحوها مؤخراً ..

إنها خائنة وهو لا يحب الخيانة ..

حاولت هي أن تشرح له الأمر ، قائلة :

— لقد حصلت عليه من ...

قاطعها وهو يدفع معصمها بعيداً في غضب :

— كفى ..

ثم اندفع يغادر حجرتها ، وانهارت هي فوق مقعدها
من شدة الصدمة .

* * *



١٠ - الفراق ..

استمعت (غادة) إلى القصة من بين شفتي (حنان) ،
التي شحب وجهها من شدة البكاء ، ثم هتفت :

— يا إلهي !! ولماذا فعل بك هذا ؟

جففت (حنان) دموعها للمرة العاشرة منذ عودتها ،
وقالت :

— لا ريب أن هذه الأفعى قد نسجت فضيحة ما
حول الخاتم .

سألها (غادة) في دهشة :

— وما علاقة (نجوى) بالأمر ؟

قذفت (حنان) الخاتم بعيداً في اشمزاز ، وقالت :

— هي التي أهدته إليّ .

اتسعت عينا (غادة) ، وقفزت من مكانها إلى جوار
أختها ، وهتفت :

— يا إلهي !! هذا الموضوع يحتاج إلى مزيد من التفاصيل .

عادت الدموع تنسال من عيني (حنان) وهي تقول :

— لقد أتت تلك اللعينة إلى مكنتي هذا الصباح ،
وكانت مثالا للركة والوداعة ، وهي تعتذر لي عن كل
ما بدر منها في حتى منذ لقائنا الأول ، وأصدقك القول إنني
شعرت بالشفقة من أجلها ، فعاملتها في رفق ومودة ،
وأخبرتها أنني قد غفرت لها كل ما أساءت به إلي ،
وهنا نزلت ذلك الخاتم من إصبعها وأصررت على
إهدائه إلي ، وحينما اعترضت بأنه أثمن من مجرد عربون
صداقة ، ادعت أنه مقلد ، لا يساوي أكثر من مائة
جنيه ، ووضعت في وسطى يميني ، وقبلتني ، ثم غادرت
مكنتي في هدوء .

صمتت لحظة ، ثم أردفت :

— لم أكن أعلم أنها إنما نفثت سمها مع القبلة .

نغممت (عادة) في احتقار :

— يا للنعينة !!

ثم عقدت حاجبيها في تفكير ، وأردفت :

— ولكن لماذا تضحي هذه المرأة بمثل هذا الخاتم الثمين ؟

أجابتها (حنان) :

— حتى تبعدني من طريقها ، وتحصل على (سامح) ،
وكل ثروته .

نغممت (عادة) :

— وتدفع الخاتم ثمناً للثروة .

ثم نهضت وهي تقول :

— لدى أسلوب عملي لرد الخدعة بمثلها .

سألها (حنان) في اهتمام :

— كيف ؟

أجابتها (عادة) في حماس وكأنها تتحدث عن معركة
حربية :

— اذهبي إليها في مكنتها ، وأعيدني إليها الخاتم أمام
(سامح) ، واشرح لي الأمر كله .

صمتت (حنان) وهي تفكر في الأمر ، ثم قالت :

— يمكنها أن تتظاهر بالدهشة ، وتدعي عدم رؤيتها

للخاتم من قبل .

نغممت (عادة) وهي تعقد حاجبيها :

— إنها لن تتورع عن هذا .

سألها (حنان) في يأس :

— ماذا أفعل إذن يا (غادة) ؟

مطت (غادة) شفيتها ، وقالت في حيرة :

— لست أدري يا (حنان) .. لست أدري .

كان الأمر يختلف في منزل (نجوى) ، فقد سادت

هناك روح الظفر ، والمرح ، وتألقت عينا (نجوى) وهي

تقول لـ (هدى) :

— لقد عاد ثائراً من قسم المحاسبة ، حتى بات من

المخاطرة محاولة التحدث إليه .

ابتسمت (هدى) وهي تقول :

— أظنه لن يفكر فيها مطلقاً بعد ذلك .

أطلقت (نجوى) ضحكة شريرة وهي تقول :

— إنها تستحق هذا ؛ لأنها جرأت على تمحدي

(نجوى حماد) .

ابتسمت كلتاها في سعادة ، ثم قالت (هدى) وهي

تتطلع إلى (نجوى) في خبث :

— (عطوان) بك يريد دعوتك إلى العشاء .

قلبت (نجوى) شفيتها ، وقالت :

— ماذا يظنني هذا الرجل ؟

قالت (هدى) في هدوء :

— (عطوان) بك رجل كريم .

لوحث (نجوى) بكفها وهي تقول :

— لقد أعطاني سواراً من الذهب هدية ، ولكن

اساء اختياره تماماً .

سألها (هدى) وقد سال لعابها على ذكر الذهب :

— أهو رخيص ؟

هزّت (نجوى) كتفها ، وقالت :

— بل يساوي ثلاثة آلاف على الأقل ، ولكنه فاسد

الدوق .

قالت (هدى) في مكر :

— يمكنك أن تستبدلي به آخر أنيقاً .

سألها (نجوى) في حدة :

— ماذا تعنين ؟

قالت في هدوء :

— أعنى أن أموال (عطوان) بك يمكنها أن تشتري الكثير .

ثم أردفت وهى تلمح دلائل التفكير فى وجه (نجوى) :
— تصورى أنه وعدنى بألف جنيه دفعة واحدة ،
لو أمكننى إقناعك بقبول دعوته إلى العشاء .

غمغمت (نجوى) فى غضب :
— ألف جنيه ؟ ! .. لهذا تسعين إلى إقناعى .

تراجعت (هدى) فى ذكاء وهى تقول :
— لقد رفضت بالطبع ، ولكنى أراها فرصة مناسبة
لتنعمى بالثراء .

سألها فى غضب :
— أتظنينى عاهرة ؟ !

رفعت (هدى) حاجبيها فى دهشة مصطنعة وهى تقول :
— عاهرة ؟ ! .. إن هذا لم يخطر ببالى مطلقاً ، إنه
يطلب الزواج .

هتفت (نجوى) فى دهشة :
— الزواج ؟ !

لاذت (هدى) بالصمت فى ذكاء ...
أرادت أن تترك لها الوقت للتفكير فى الأمر ..
إنها علاقة الأفاعى مرة أخرى ..
لقد وعدوها (عطوان) بعشرة آلاف جنيه ، إذا
ما أقنعت (نجوى) بقبولها الزواج منه ..
وهى تحتاج إلى الآلاف العشرة أكثر مما تحتاج إلى
صداقتها مع (نجوى) ..
هكذا دائماً فى عالم الأفاعى .. الفريسة قبل الصداقة ..
ولقد أفلحت طريقتهما مع (نجوى) ..
بدأت (نجوى) تدرس عرض الزواج فى جدية ..
كان المال يمثل جزءاً كبيراً من طموحها ..
والزواج هو وسيلة الوحيدة للتمتع بالثراء ..
كان (سامح) ثرياً ..
ولكن (عطوان) باهظ الثراء ..
يمكنها أن تتمتع بالآلاف مع رجل وسيم كـ (سامح) ..
أو بالملايين مع رجل مثل (عطوان) ..

لم يحتاج عقلها إلى كثير من التفكير ليعلم أن الملايين
تمنح من المتع ما يفوق الآلاف ..

قالت وكأنها تبحث عن مبرر للقبول :
- تقولين إن (عطوان) متزوج من امرأتين .

أسرعت (هدى) تقول :
- ولكنه ينفق عليهما في بذخ .
- سأصبح الثالثة في حياته .

- يمكنك أن تصبحي الأولى في حياته بذكائك .
- ولكنني الأولى في حياة (سامح) بالفعل .
- (عطوان) أكثر ثراء .

- لا معنى لكل ما فعلناه إذا كنت لا أنوى الزواج
من (سامح) .

- لقد حطمت منافسة لك ، ولهذا مُتعتته .
- لقد فعلت هذا من أجل الزواج من (سامح) .
- لن تحتاجي إلى مواصلة الصراع ، ف (عطوان)
لا يرغب سواك .

- ولكن (سامح) أكثر وسامة .

- المال يجعل الرجل وسيماً دائماً .

- ولكن (سامح) ليس فقيراً ، فلماذا أتركه وهو يحبني .
- لأن (سامح) جاد صارم ، لا يميل إلى السهرات
والحفلات مثل (عطوان) ..

توقف الحديث عند هذه النقطة ، وبدأت (نجوى)
تقارن في عقلها بين (سامح) و (عطوان) في هذه
النقطة بالذات ...

صحيح أن (سامح) ثري ، ولكنه يقضى وقته كله في
العمل ..

أما (عطوان) فهو مليونير يهوى السهر والمرح ..
ربما لأن (سامح) ما زال يبنى شركته وينميها ،
أما (عطوان) فهو يرفل في ثوب الملايين ..

تصورت نفسها سيدة الحفلات والسهرات والمجتمعات ..
تخيلت نظرات الإعجاب تلاحقها ، وصيحات الانبهار
تسبقها ..

رأت بعين الخيال رجال المجتمع يشيرون إليها في افتتاح ..
سمعتهم في خيالها يتحدثون بأنها صاحبة ملايين ..

قارنت بين العبارتين .. صاحبة الملايين ، وصاحبة
الألوف ..

لعب الطمع البشرى دوره فى هذا الاختيار أيضاً ..
منذ خمسة عشر عاماً قادها الطمع البشرى إلى التخلّى
عن (سامح) ..

والآن أيضاً دفعها الطمع إلى التخلّى عنه ..
منذ خمسة عشر عاماً رفضته من أجل المال ..
والآن ترفضه من أجل مزيد من المال ..
لا حدود للمطامع البشرية وشهوة المال ..
إنها عمياء ، قاسية ، لا ترحم ..
إنها نوع من الجنون ، الذى يفقد الإنسان أمامه كل
عقل وتميز ..

حسنت (نجوى) الأمر وهى تقول :
— متى يدعونى إلى العشاء ؟

تهددت (هدى) فى ظفر وارتياح ، وأسرعت تقول :
— الليلة .

هتفت (نجوى) فى دهشة :
— الليلة ؟ !

صاحت (هدى) :
— إنه لا يحتمل الانتظار .

ابتسمت (نجوى) فى غرور ، وقالت وهى ترفع
أحد حاجبيها :
— نعم .. إنه لن يحتمل الانتظار .



اجتاحت حمى الثراء (نجوى) منذ اللحظة الأولى ..
منذ توقفت سيارة (عطوان) الفاخرة الأنيقة أمام
منزلها ..

اتسعت عينها ذهولا وهي تتأمل السيارة ..
كانت من ذلك النوع الذى يبلغ ثمنه عشرات الآلاف
من الجنيهات ..

وجدت نفسها تقارن بلا وعى بين سيارة (عطوان)
المبهرة ، وسيارة (سامح) العادية ..
تخيلت نفسها تقود هذه السيارة الفاخرة ، فسرت في
جسدها نشوة لذيذة ..

لم يهبط (عطوان) من السيارة لاستقبالها ..
تركها تدور حول سيارته وتركب إلى جواره ..
سأله وهو ينطلق بالسيارة :
- إلى أين ؟

أجابها في لهجة متفاخرة :
- إلى أفخر فنادق القاهرة ، لقد طلبت إعداد سهرة
خاصة .

لم تحاول أن تسأله عما كلفته تلك السهرة الخاصة ،
فهي تعلم أن ذلك لا يقل عن عشرة آلاف أخرى ،
فاسترخت في مقعدها ، وحاولت أن تتخيل نفسها ترفل
في كل هذا الثراء ..

لم تنقطع عن خيالاتها إلا حينما توقفت سيارته أمام
الفندق الفاخر ..

أسرع موظفو الاستقبال يرحبون به في حرارة تؤكد
اعتياده ارتياد مثل هذه الأماكن ، وصحبوهما إلى ركن
فاخر يبدو وكأنه أعد خصيصاً من أجلهما ..

طلب (عطوان) عشاءً فاخراً ، ثم التفت إليها ، وقال :
- ماذا قررت يا جميلة الجميلات ؟

صمتت لحظة ، ثم أجابته بسؤال آخر :
- ماذا ستفعل بزوجتيك ؟

بدا وكأن السؤال قد أدهشه ، فتطلع إليها بعينين
تسائلتين ، ثم أجابها في غلظة :

- ماذا سأفعل بهما ؟ ! .. سأبقيهما بالطبع .
مالت نحوه ، وقالت في لهجة تقطر دلالة ، واغراء :
- إننى لا أحب الشركاء .

تألفت ضحكة في عينيه ، ثم لم تلبث أن انتقلت إلى
شفتيه وهو يقول :

— إن تطليقي زوجتي يفقدك الشعور بالأمان يا جميلة
الجماليات .

لم تفهم معنى إجابته ، فسأله في عصبية :
— ماذا تعني بقولك هذا ؟

عاد بظهره إلى الوراء يستند إلى مقعده ، وأشعل
سيجارة في هدوء ، ونفث دخانها وهو يقول :

— لو أنني طلقت زوجتي من أجلك ، فسيعطيك هذا
إحساساً بأنني قادر على طلاقك من أجل أخرى ، أما
احتفاظي بهما فيؤكد أنني رجل مخلص .

أقنعها منطقته على الرغم من أنه لم يحصل على شهادة
الابتدائية ، فصمتت بعض الوقت ، ثم قالت :
— وكيف تنوى أن تتزوجني ؟ .. سرّاً ؟ !

ضحك ، ومال نحوها وهو يقول :

— إنني لا أفعل شيئاً أخجل منه يا جميلة الجميلات ،
سيتم زواجنا في حفل فخيم ، يحضره عليه القوم ، وتحدث

عنه القاهرة أياماً ، وستردين أفخر ثوب زفاف شهادته
مصر كلها .

بهرتها الصورة التي نقلها إلى مخيلتها ، وتصورت
نفسها عروس أفخم حفل زفاف ، واستيقظ غرورها ،
فاستسلمت لسطوة المال ..

مالت نحوه وهي تقول في دلال :

— هل ستدفع لي مهراً كالأبكار ؟

ابتسم في ثقة وغرور ، وقال :

— لن يقل مهرك عن ربع مليون جنيه يا جميلة الجميلات
وستبرز عيون نساء مصر وهن يتطلعن إلى شبكتك .
أدارت الأرقام والتصورات رأسها ...

حطمت البقية الباقية من كرامتها وغرورها ..

جعلتها ترى (عطوان) بمنظار آخر ..

بدت لها بدانته أكثر وسامة من (سامح) ..

ترأت لها فظاظته أكثر رقة من فراشة ..

نسيت زوجتيه ، وتعليمه المتواضع ..

بهرتها الأرقام والخيالات حتى باتت تلهث من شدة
الانفعال ..

وحضر العشاء الفاخر ليزيد من انبهارها وانفعالها ..
لم يكن عشاء فردين .. بل هو مأدبة ملوك ..
بكل ما يحيط بها من مظاهر العظمة والفخفة ..
انهار حائط مقاومتها تماماً مع نهاية العشاء .
جلست صامته مستسلمة وهو يشعل سيجارته ،
وينفث دخانها في وجهها ، ثم سمعته يقول :
- ما زالت هناك نقطة هامة لم نناقشها بعد .
رفعت إليه عينين متسائلتين في خضوع ، فأردف :
- أنا لا أحب أن تعمل زوجاني ، أريدهن أن
يتفرغن لي .

أحنت رأسها وهي تقول في استسلام :
- كما تأمر يا (عطوان) بك .
تهد في ارتياح وغرور ، وأخذ ينفث دخان سيجارته ،
وقد أصبح واثقاً أنه نجح في إيهارها حتى النخاع .
في نفس اللحظات التي انهارت فيها مقاومة (نجوى) ،
كانت (حنان) تتقلب في فراشها قلقه ..
كانت تراجع علاقتها بـ (سامح) ..

اعترفت لنفسها أن حبها لـ (سامح) لا يمكن أن
يسمى بالعلاقة ..
فهو ما زال حباً من طرف واحد ..
لأنها تحبه وحدها بكل مشاعرها وجوانحها ..
صحيح أنه يبدى نحوها بعض الاهتمام في الآونة الأخيرة ..
ولكن الاهتمام وحده لا يكفي ..
لغنت (نجوى) ، وأسلوبها المخادع الملتوى ..
تعاظمت كراهيتها في قلبها وهي تسترجع ذكريات
خدعة الخاتم ..
عادت تفكر فيما اقترحته (غادة) ..
قلبت الأمر في رأسها ، ثم انتهت إلى أنه التصرف
الأمثل ..
ستذهب إلى (سامح) في مكتبه في الصباح ، وتطلب
منه استدعاء (نجوى) . ثم تواجهها بكل شيء أمامه ..
حتى ولو أنكرت (نجوى) ، سيكون هذا هو
التصرف الأمثل بدلاً من احتفاظها هي بالعار ..
إن محاولتها الدفاع عن نفسها أفضل كثيراً من صمتها ،
وكأنها تعترف بالذنب ..

نهضت من فراشها ، وأضاءت الحجرة ، ثم جلست
أمام المرآة تتأمل وجهها ..

اعترفت لنفسها أنها لا تهتم حقًا بجمالها ، ولا تحاول
إيرازه ..

استعادت كلمات (غادة) وهي تنصحها بمحاربة
(نجوى) بنفس الوسائل ..

إن (نجوى) تتسلح بالجمال وحده ، فلتحذ حذوها
إذن ..

صحيح أن (نجوى) تفوقها جمالا .. ولكنها ستقاوم ..
لن تفوق جمال (نجوى) المبهر ، ولكنها ستعمل على
تقليل الفارق بينهما على الأقل ..

لن تستسلم ..
أعادت تصفيف خصلات شعرها الكستنائي على
نحو أكثر أنوثة ..

تأملت وجهها لحظة ، ثم أعادت شعرها إلى ما كان
عليه ، وهي تغتمغ في ضيق :

— كلا .. فليقبلني كما أنا وإلا فلا ..
عادت إلى فراشها وقد راودها شعور بالسخط ..

غمغمت وهي تسدل الغطاء على جسدها :
— ليس من الضروري أن أتحول إلى أفعى لأحارب
الأفاعي ..

حاولت أن تقنع نفسها بهذا المنطق الجديد ..
جافاها النوم وهي تحاور عقلها بالمنطقيين ..
أشرق الصباح دون أن يغمض لها جفن ، ولكن
عقلها استقر إلى قرار ..

نهضت من فراشها في حماس ، وتناولت أدوات
مكياجها وهي تقول ..

— لا يفل الحديد إلا الحديد ..
لقد قررت أن تقاتل ..



تجاهلت (حنان) نظرات الإعجاب وهي تعبر بوابة الشركة هذه المرة ..

كانت تبدو في أبهى صورة هذا الصباح ..
شحذت كل أسلحتها من أجل المقاومة ..

لم تطأ أرض مكتبها بقدميها .. بل توجهت من فورها إلى مكتب (نجوى) ..

أقلقها أن تجد المكتب خالياً ، ولكنها اتخذت مقعداً مقابلاً له ، وهي تقبض على الخاتم في راحتها ..

خفق قلبها في عنف وكأنها مقدمة على عملية انتحارية ..
كانت قد قررت أن تواجه (سامح) بكل شيء ..

ستفصح (نجوى) أمامه ، وليكن ما يكون ..

تطلعت إلى صورة (نجوى) الملونة في الإطار الأنيق ،
الذي تزين به مكتبها ، وانتابها شعور بالغضب ..

غمغت في أعماقها :

- كل الأفاعى جميلة المظهر .

جذب انتباهها صوت باب المكتب وهو يفتح في هدوء ، فاستدارت إليه وقد اشتعلت أعصابها بالرغبة في الصراع ، ولكنها دهشت حينما طالعها وجه (هدى) بدلاً من (نجوى) ..

كانت (هدى) في قمة سعادتها هذا الصباح ..

لقد نجحت في إقناع (نجوى) بالزواج من (عطوان) ..

ستتقاضى عشرة آلاف جنيه ثمناً لإقناعها ..

ولكن سعادتها لم تمنعها من الشعور بالرغبة في الإيذاء حين وقع بصرها على (حنان) ..

بادرتها (حنان) ، قائلة :

- أين (نجوى) ؟ لماذا لم تحضر إلى مكتبها هذا الصباح .. ؟

ابتسمت (هدى) في خبث ، وقالت :

- إنها لن تحضر إلى الشركة مطلقاً .

عقدت (حنان) حاجبيها وهي تسألها في حدة :

- لماذا ؟

أجابتها (هدى) في هدوء وهي ترقب انفعالاتها :

— إنها تعد لحفل زفافها هذا المساء .

شحب وجه (حنان) حتى حاكى وجوه الموتى ..

انهارت خططها القتالية وهي تسمع تصریح (نجوى)

هذا ..

تحطمت ثققتها وهي تسألها في شحوب وذ هول :

— حفل زفافها ؟ ! .. ممن ؟ !

هنا تختلف طبيعة أفاعى البشر عن الأفاعى الحقيقية ..

فالأفعى الحقيقية لا تنفث سمها إلا دفاعاً عن نفسها ،

أو بحثاً عن طعامها ..

أما أفعى البشر فهي تعشق الإيذاء ..

تجد فيه متعتها ونشوتها ..

ثقتها وقوتها ..

كان يمكن أن تخبر (حنان) عن اسم زوج (نجوى) ..

ولكن رغبته في الإيذاء أوحى لها بأسلوب شيطاني

خبيث ..

أدارت وجهها إلى باب مكتب (سامح) ،

وارتسمت على شفتيها ابتسامة خبيثة وهي تقول في بطاء :

— خمنى !

لو أن رصاصة أطلقت على قلب (حنان) لما ارتجف

كما فعل في هذه اللحظة ..

ولو أن قبلة انفجرت في أعماقها لما خطمتها كما فعلت

عبارة (هدى) ..

لقد شعرت وكأن قلبها قد تمزق دفعة واحدة ..

بل كأنه انتزع من بين ضلوعها ، وألقى به في أتون

من النار ..

هوت من قمة الحماس إلى قاع اليأس في ثانية واحدة .

جفت من عينيها الدموع ..

تحطم في قلبها الأمل ..

انهارت في أعماقها الحياة ..

اندفعت فجأة تغادر المكتب قبل أن تسقط أمام

(هدى) ..

وفي أعماقها انطلق صراخ ارتج له كيائها ..

صراخ يردد في ألم ويأس :



— لقد انتهى كل شيء .. ضاع الأمل .. لم يعد هناك
معنى للحياة .. وداعاً .. وداعاً إلى الأبد ..

لم تدروا وهي تنطلق باكية إلى منزلها أن (سامح) كان
يبحث عنها في قسم المحاسبة ..

انتابته رغبة جارفة في رؤيتها ، فخرج على مكتبها
قبل أن يصعد إلى مكتبه ..

شعر بالقلق حينما تأخرت ، وقرر الصعود إلى مكتبه
حتى لا ينتبه موظفو القسم إلى مشاعره الجياشة ..

لم ينتبه إلى عدم وجود (نجوى) أمام مكتبها وهو
يعبر باب مكتبه ..

جلس خلف مكتبه شاردأ ..

لماذا تعلق بـ (حنان) في الآونة الأخيرة ؟

ما زال يذكر كيف أثارت ملامحها وجديتها انتباهه
حينما رآها لأول مرة ..

يومها أخبرته في صراحة وبساطة ووضوح أنها لم
تكتسب أية خبرة من قبل ..

جذبت صراحتها وبساطتها حينذاك ، وقرر أن يحتفظ
بها إلى جواره ..

لم يندم يوماً على هذا القرار حينما أثبتت تفوقها
ونشاطها ..

ولكنه لم يكن حرّاً في ذلك الحين ..

كانت (نجوى) تحيط مشاعره بستائر سوداء تحجب
عنه الرؤية ..

كانت تملأ كيانه ومشاعره ..

لولا هذا لكان له مع (حنان) شأن آخر ..

وربما كان له معها هذا الشأن ، لو لم تعد (نجوى)
إلى حياته على هذه الصورة ..

عاد يسأل نفسه : أما زال يحب (نجوى) حقاً ؟

أدهشه أن يحيره السؤال كثيراً ..

كاد يعترف في قرارة نفسه أنه لم يعد يحبها ..

إنه عاش في وهم كبير طيلة خمسة عشر عاماً ..

كاد يعترف أن السنوات التي قضاها في الكفاح قد
بدلت ..

لم تعد (نجوى) - على الرغم من جمالها الصارخ -
هى النموذج الذى يخلب لبه ..

كان يبحث فى الواقع عن فتاة بسيطة مخلصه مثل (حنان) .
كاد يعترف بكل هذا لولا أن اقتحم (عطوان)
مكتبه فجأة ..

شئت هذا أفكاره ، وأربكه حينها بادره (عطوان)
فى مرح .. :

- فم تفكر أيها العاشق ؟
ارتسمت على شفثيه ابتسامة مغتصبة ، وهو يشير
إلى المقعد المقابل لمكتبه ، قائلاً :

- تفضل يا سيد (عطوان) .. أهى استشارة هندسية
أخرى ؟

أجابه (عطوان) فى مرح ، وهو يستقر بجسده البدن
فوق المقعد :

- بل زواج يا صديقى .
ارتجف قلب (سامح) وهو يسأله فى توتر :
- زواج ؟ !

مال (عطوان) نحوه وهو يهمس كمن يفشى سرًا
خطيراً :

- نعم يا صديقى .. زواج .. إنها تلك الموظفة فى
شركتك ، سيتم زفافنا الليلة .

شحب وجه (سامح) وهو يتراجع إلى الخلف ،
مغمماً :

- يا إلهى !!

لم ينتبه (عطوان) إلى الشحوب الذى كسا وجه
(سامح) ، فأردف فى مرح ، وهو يضع أمامه بطاقة
أنيقة ، مكتوبة بحروف من ذهب :

- لقد فضلت إحضار دعوة الزفاف بنفسى .

التقط (سامح) البطاقة المذهبة بأصابع مرتجفة ،
ورفعها إلى وجهه وهو يخفى ارتعاده ..

ولم يكذ يقرأ اسم العروس حتى جف حلقه ،
وزاغت عيناه ، وفرت الدماء من عروقه ..

هتف فى ذهول :

- (نجوى) ؟ !

تطلع إليه (عطوان) في دهشة ، ونغمم :
- بالطبع يا صديقي ، إنها (نجوى حماد) ، لقد
كنت أظنك تعلم ذلك .

انهار (سامح) وهو يخفى وجهه بين كفيه ، متمتماً
في شحوب :

- هذا مستحيل .. مستحيل .
تخبط عقله وهو يبحث عن تفسير معقول ..
لم يستطع أن يفهم لماذا خانته (نجوى) هذه المرة ..
لقد تخلت عنه في المرة الأولى بسبب المال ..
ولكنه الآن يرى ..
لقد أرى من أجلها ...
ولكنها خانته

صرخ عقله إنها تخونه ؛ لأن الخيانة تجري في عروقها
مجري الدم ..
خانته ؛ لأنها تعيش بأسلوب الغانية .. تمنح نفسها لمن
يدفع أكثر ..
عاد يتمتم في شحوب :

- هذا مستحيل .. مستحيل .
عقد (عطوان) حاجبيه وهو يسأله في قلق :
- ماذا يعني هذا ؟ ألم تقل إنك لا تهتم بأمرها ؟
تطلع إليه بعينين زائغتين ، دون أن يدرى كيف
يجيبه ..

لقد فهم الآن فقط أنه لم يكن يقصد (حنان) في
حديثه السابق ، بل كان يقصد (نجوى) ..
تذكر كيف أن (نجوى) نشأت طفلة وحيدة مدللة ،
لأبوين لا يدریان شيئاً عن أسلوب التربية السليم ..
نشأت مغرورة ، متكبرة ، عنيدة ، أنانية ..
اعتادت أن تحصل على كل ما تبتغيه ..
ولما مات أبواها تضاعفت أنانيتا وغرورها وعنادها .
تذكر كيف كان يتعاضد عن تلك الحصول المؤسفة ..
حتى تخلت عنه ..
انقلب حبه لها ، ولهفته عليها إلى كراهية شديدة في هذه
اللحظة .. تبين كم هي حقيرة ، قاسية ، خبيثة ..
لم يجد أمامه ما يقول ، فرفع عينيه إلى (عطوان) ،
ونغمم في إحباط :

— ألم تكن تنوى الزواج من (حنان) ؟

هتف (عطوان) في دهشة :

— الآنسة (حنان) ؟ ! .. إن هذا لم يخطر ببالى قط .

ثم مال نحوه وهو يسأله في حيرة :

— ألا تعلم أنها تعشقك ؟

تسللت نسمة من السعادة إلى جحيم أحزانه وهو

يهتف في دهشة :

— يا إلهى !! (حنان) ؟ !

هز (عطوان) كتفيه المكتظتين ، وقال في حيرة :

— لقد كنت أظنك تعلم هذا ، وتتجاهله ، لقد

كانت نظراتها إليك تشف عما يعمل في قلبها ، حتى أننى

لم أتصور أنك لم تلاحظ ذلك .

نغم (سامح) وقد انجابت غشاوة كثيفة عن عينيه :

— (حنان) !!

استعاد عقله آلاف المواقف والكلمات طوال السنوات

الثلاث الماضية ..

تنبه فجأة إلى كل حبها وإخلاصها الصامت ..

هتف قلبه بحبها لأول مرة في صراحة ..

أخرجه (عطوان) من دفق مشاعره ، حينما هتف
في حدة :

— والآن أخبرنى بالله عليك ، لماذا بدوت تعساً

حينما أخبرتك عن زواجى بـ (نجوى حماد) ؟

اعتدل (سامح) وهو يتأمل ملامح (عطوان) ،

وانتابته رغبة جارفة فى الانتقام لكرامته الذبيحة وهزيمته

النكراء ، فقال وهو يرتجف انفعالا :

— نعم ياسيد (عطوان) .. سأخبرك بكل شيء ..



أصغى (عطوان) إلى كل كلمة نطق بها (سامح) في اهتمام ..

ارتجف جسده البدين وهو يستمع إلى قصة (نجوى) ..
غصّ حلقه وهو يرى كل تلك النقائص في المرأة التي ينوى زواجها ..

انتظر حتى انتهى (سامح) من قصته ، ثم أشعل سيجارته بأصابع مرتجفة ، ونفث دخانها في عصبية ، وقال وهو يتحاشى النظر إلى عيني (سامح) :

- لقد أنقذتني من الوقوع في خطأ كبير يا أستاذ (سامح) .

ثم نهض وهو يقول :

- صحيح أنني لم أتلق تعليماً دراسياً كافياً ، ولكن الحياة علمتني الكثير ..

أصغى إليه (سامح) في انتباه ، على حين أردف هو :
- ربما كنت مزواجاً ، أحب حياة العبث والمرح ، ولكنني لا أميل إلى الزواج من امرأة اعتادت الخيانة .

سأله (سامح) في انفعال :

- ماذا تعني يا سيد (عطوان) ؟

النفث إليه (عطوان) ، ونفث دخان سيجارته في عصبية ، وقال :

- لن يتم زواجي بـ (نجوى حماد) يا (سامح) بك ، لن أتزوج نخائنة على الإطلاق .

قال (سامح) في ارتباك :

- ربما وقع اختيار (نجوى) عليك يا سيد (عطوان) ، أنا لا أحب أن أكون سيئاً في ..

قاطعته (عطوان) في صرامة :

- إنه قرارى يا (سامح) بك ..

ثم غادر مكتبه على عجل ، دون أن يمنحه فرصة مواصلة الحديث ..

وفي الممر الخارجى استقبلته (هدى) وهى تقول في مرح :

- إلى أين يا (عطوان) بك ، هل نسيت وعدك ؟

حدجها بنظرة باردة وهو يقول :

— أى وعد هذا ؟

صاحت فى استنكار :

— العشرة آلاف جنيه !!

صاح فى غضب أدهشها :

— كفى خداعاً .

شحب وجهها وهى تنكش ، قائلة :

— أى خداع هذا ؟ !

لوح بذراعه المكتظة وهو يقول فى غضب :

— لن يتم الزواج ، لن يتم على الإطلاق .

ثم اندفع بجسده البدين يغادر الشركة ، تاركاً إياها فى

ذهول ، ولم يكذب يخنق من أمام ناظرها حتى أسرع إلى

الهاتف وهى تردد فى شحوب :

— لا بد أن تعلم (نجوى) .. لا بد ..

أما (سامح) فقد ظل جامداً فوق مكتبه بعد انصراف

(عطوان) ..

اجتاحته مشاعر شتى ..

حزن عميق لخيانة (نجوى) ..

فرح جارف لبراءة (حنان) ..

تضارب الحزن والفرح فى أعماقه ..

وفجأة قفز إلى ذهنه سؤال أثار حيرته ..

إذا كانت (حنان) لم تحصل على الخاتم من (عطوان) ،

فمن أين أتت به ؟

بدأ القلق يغزو قلبه عند هذه النقطة ..

هل رأت (نجوى) (حنان) حقاً مع رجل آخر ؟ ..

هل التبس عليها الأمر فظنته (عطوان) ؟

أثار السؤال حيرته وقلقه ..

بعث الشك فى أعماقه ..

هتف فى غضب :

— كلهن خائنات ..

تحرك فى سرعة إلى مكتب (نجوى) ..

اعتصره الغضب وهو يتأمل صورتها التى تزين المكتب ..

انتزع الصورة فى ثورة ، وألقى بها على الأرض فى

قوة ..

اختلط صوت تهشم الصورة بصرخة تجمع ما بين
الدهشة والفرع ..

استدار إلى مصدر الصرخة ، فرآها أمامه .

رأى (نجوى) بجهاها الفتان ، وثوبها بالغ الإغراء ..
لم يثر مرآها في نفسه أكثر من الثورة والغضب
والكراهية ..

تجمدت الكلمات فوق شفثيه ..

أطلت من عينيه الفيروزيتين صرخة غضب ..
وفهمت (نجوى) ..

فهمت الإعصار الذى يعصف بقلبه ..

كانت (هدى) قد أخبرتها عن لقائه بـ (عطوان) ..
عن ثورة (عطوان) ، وغضبه ، ورفضه الزواج ..
ولم يكن من العسير على عقل شيطاني كعقل (نجوى)
أن يستنتج ما حدث ..

فهمت سبب رفض (عطوان) لها ..

تنبّهت أنها ستفقد الرجلين دفعة واحدة ..

ولم يكن باستطاعتها احتمال مثل هذه الخسارة ..

انطلق عقلها الشيطاني يبحث عن وسيلة للمكسب ..
إذا كانت قد خسرت (عطوان) فعليها أن تحتفظ
بـ (سامح) ..

لهذا أسرعت إليه .

أعدت خطتها الجهنمية ، وانطلقت لتنفيذها في جرأة ،
ولكن رؤيتها (سامح) وهو يحطم صورتها أثارت في نفسها
الفرع ..

كان عليها أن تستجمع ذكاءها وجرأتها وجسارتها من
أجل الفوز ..

واجهت نظراته الغاضبة في ثبات ، واندفعت نحوه
في جزع مصطنع وهى تهتف :

— حبيبي (سامح) ماذا أصابك ؟

جاء صوته صارماً غاضباً وهو يقول :

— ماذا تريدین ؟

تجاهلت غضبه وهى تقول :

— لقد أخبرتنى (هدى) ما أدهشنى ، هل رأيت

ما فعله هذا المجنون (عطوان) ؟

سألها في صرامة :

— ماذا فعل ؟

تظاهرت بالدهشة والحيرة وهي تقول :

— إنه يصّر على الزواج مني ، حتى أنه طبع بطاقات

الدعوة للزفاف دون أن يحصل على موافقتي .

تطلع إليها في دهشة ، وغمغم وقد أصابه الارتباك

والحيرة :

— دون أن يحصل على موافقتك ؟ !

أسرعت تقول في دلال :

— إنه يطار دني منذ تسلمت العمل سكرتيرة لك ،

وطلب مني الزواج أكثر من مرة ، ولكنني رفضت ،

وانتهى به الأمر إلى محاولة توريطي في الزواج .

اتسعت عيناه وقد تعاظمت دهشته ، ثم استند إلى

مكتبها وهو يغمغم :

— لم أعد أفهم شيئاً .. لم أعد أفهم شيئاً ..

ابتسمت في خبث وهي تلمح حيرته ..

علمت أنها قد نجحت في إثارة الشك في أعماقه ..

***** ١٤٤ *****

وستنجح في استثمار هذا الشك لصالحها ..

شعر هو برأسه يدور وهو يحاول أن يفهم ..

اختلف عليه الأمر ، حتى لم يعد يدري أيهم يخدعه ..

أهو (عطوان) الذي قدم إليه بطاقة الدعوة ؟ ..

أم هي (نجوى) التي تمنحه تفسيراً يصون كرامته ؟ ..

أم (حنان) التي لم تحاول الدفاع عن نفسها ؟ ..

أيهم يخدعه ؟ ..

دار رأسه حتى خيل إليه أنه سيفقد الوعي ..

شعر أنه تسرع حين حطم صورة (نجوى) ..

انتابه بعض الندم ، فأنحنى يلتقط الصورة المحطمة ..

وفجأة تصلبت يده في وسط الطريق ، واتسعت

عيناه وهو يحدق في الصورة ..

الآن فقط فهم كل شيء ..

عرف أيهم يخدعه ..

التقط الصورة وهو يرتجف من فرط الانفعال ،

وقربها من وجهه يتأملها في إمعان ..



ارتجف جسد (نجوى) وهى تحاول أن تفهم سبب
انفعاله المفاجئ هذا ..

وفجأة أمسك (سامح) معصمها ، وجذبها إليه فى
قوة ، ووضع صورتها أمام وجهها وهو يقول فى غضب :
- صورتك أوقعت بك يا (نجوى) .

أدهشتها قسوته ، وحاولت التملص من قبضته وهى
تقول فى فزع :

- ماذا أصابك يا (سامح) ؟ .. ماذا حدث ؟
شدّد قبضته على معصمها وهو يقول فى قسوة :
- انظرى جيداً أيتها الخائنة المخادعة .. انظرى إلى
يدك اليمنى فى الصورة ..

اتسعت عينا (نجوى) وهى تحدّق حيث أشار ..
انهارت ثقتها حينما فهمت ما يعنيه ..
عرفت أنها قد خسرت المعركة ..
خسرت كل شيء ..
فهناك فى الصورة .. كان يزين يدها اليمنى ذلك الخاتم ،
الذى أهدته إلى (حنان) ..

لقد رآه (سامح) ، وفهم كل شيء ..
فهم محاولتها لتحطيم (حنان) ، والاستئثار به فى حقارة ..
كرهها كما لم يتصور أن يفعل فى حياته ..
كرهها كما يكره الإنسان الموت ، والفقر ، والمرض ..
انتقلت كراهيته إليها ، فارتجفت وهى تتعلق به قائلة :
- (سامح) ، سأشرح لك كل شيء .. سأ ..
أخرسها بصفعة قوية ..
صفعة أودعها كل غضبه ، وحنقه ، وكراهيته ..
صفعة ألقت بها أرضاً ، وأنبأتها أن الصراع قد انتهى ..
صفعة أخبرتها أن نصيبها هو الخسارة ..
نهضت فى مذلة وانكسار ، دون أن تجرؤ على النظر إليه ..
ظل جامداً ، صامتاً ، صارماً ، يتأملها فى برود وهى
تنفض الغبار عن ثوبها فى انهيار ..
لم تثر مذلتها أى إحساس بالشفقة فى أعماقه ..
شعر أنها تستحق كل ذلك بعدما فعلته به ، وبـ (حنان) ..
راقبها فى برود وهى تغادر المكتب بخطوات مرتجفة
مهزومة ..

أدهشه أنها لم تبك ..
لم تذرف دمعة واحدة على هزيمتها ..
تماماً كالأفاعى ..
فالأفاعى لا تبكى ..

إنها تنسحب في هدوء إذا ما تبينت عدم جدوى
القتال ، أو قوة الخصم ..
تركها (سامح) تغادر المكتب .. تغادر حياته كلها ،
ثم فاضت مشاعره دفعة واحدة حينما أغلقت الباب خلفها ..
انهار فوق مقعدها ، ودفن وجهه بين كفيه ..
أحلام خمسة عشر عاماً تحطمت في لحظات ..
كشف أنه كان يلهث طوال الأعوام الخمسة العشر
الماضية خلف سراب ..

اكتنفه إحساس بالهزيمة ..
وفجأة انبعث ضوء أبيض وسط ظلام الخسارة ..
أمل أضواء حياته بعد أن أحاطت بها الظلمات ..
انتفض في مقعده وهو يهتف في حب :
- (حنان) .

(حنان) التى منحته حباً وإخلاصاً طوال ثلاث
سنوات فى صمت ..

(حنان) التى تعذبت دون أن يشعر بحبها ووفائها ..
تدفق الحب فى قلبه أنهاراً ، حتى فاضت به مشاعره ..
التقط سماعة الهاتف الداخلى فى لهفة ، وأدار رقم قسم
المحاسبة بأصابع مرتجفة ، ولم يكدر يسمع صوت محدثه
حتى هتف :
- صلتى بالآنسة (حنان) .

ارتبك صاحب الصوت وهو يقول :
- لقد انصرفت الآنسة (حنان) يا سيدى .
تملكه شعور بالغضب وهو يقول فى حدة :
- كيف انصرفت ؟ ! .. إن الساعة لم تتعد العاشرة .
تردد صاحب الصوت لحظة ، ثم أجابه :
- إنها لم تعد ترتبط بمواعيد الحضور والانصراف
يا سيدى .

صرخ فى غضب :
- ماذا تعنى ؟

رفعت والدته (سامح) حاجيها في دهشة وقلق ،
حين عاد إلى منزله في هذا الوقت المبكر ..
وتضاعفت دهشتها وقلقها ، عندما توجه من فوره
إلى حجرته دون أن يقبل يدها كمعاده ..
كانت تعرف ولدها خير المعرفة ، شأن كل أم ..
كانت تعلم أنه قوى صارم ، لا تقلقه إلا أشد الأمور
وأخطرها ..

راودها قلبها أن تسرع إليه ، وتسأله عما يحزنه ..
وأنبأها عقلها أن تتركه وشأنه ..
ولكن القلب ينتصر دائماً في أعماق الأمهات ..
دقت باب حجرته في تردد ، وسمعت صوته يدعوها
إلى الدخول ، فدفعت الباب ، ودلفت إليه في هدوء ..
انفطر قلبها وهي تلمح كل ذلك الحزن في عينيه
الفيروزيتين ..

لم يكن حزناً باهتاً كذلك الذي احتفظ به طوال
السنوات الخمسة عشر الماضية ..

أجابه الرجل وهو يرتعد
- لقد استقالت يا سيدى .

- استقالت ؟ !

انطلقت صرخته تعبر عن كل ما انفجر في أعماقه ..

عن لوعته وألمه ..

عن يأسه وندمه ..

سقطت سماعة الهاتف من يده ، وارتجف جسده وهو

يغمغم في لوعة :

- لقد خسرتها .. خسرت الحب الحقيقي الوحيد

في حياتى ..

* * *



كان حزناً أقوى وأعمق ...

حزن رجل فقد آماله وأحلامه ..

استقبلها بابتسامة باهتة لم تنجح في خداعها ، فجلست
إلى جواره على طرف الفراش ، وربت على كتفه في
حنان وهي تقول :

— ماذا بك يا ولدي ؟

أجابها في حزن لم يستطع إخفاءه :

— بعض مشاكل العمل يا أماه .

أحاطت كتفيه بذراعيها في أمومة وحنان ، وهمست
في عتاب :

— أتخدع أمك يا ولدي ؟

رفع عينيه يتطلع إلى عينيها في اعتذار ..

كان يعلم أنه غير قادر على خداعها ..

أراح رأسه على صدرها كما كان يفعل في طفولته ،
وشعرت هي بارتجاف جسده بين ذراعيها ، فهمست في
قلق :

— أهي (نجوى) مرة أخرى ؟

أجابها وهو يشعر بالارتياح على صدرها :

— لقد خرجت (نجوى) من حياتي إلى الأبد يا أماه ،
ولست نادماً على ذلك .

تهددت في ارتياح ، فهي لم تحب (نجوى) هذه طيلة
حياتها ..

أنباتها غريزتها الفطرية دائماً أن (نجوى) مخادعة
بالسليقة ..

ولكنها لم تعترض ولدها حين وقع في هواها ثانية ..
أرادت أن تتركه يستين طريقه وحده ، أو ينبذها
وحده ..

واليوم علمت أنه قد توصل إلى قرار ، وأسعدها
قراره ..

ولكن غريزتها الفطرية أيضاً أنباتها أن مبعث حزنه
هو الهوى ..

سألته في حنو :

— من هي إذن ؟

أجابها في حزن :

— (حنان) .

عقدت حاجبها في محاولة للتذكر ، ثم لم يلبث ثغرها
أن اقترع عن ابتسامة تفيض بالطيبة ، والسعادة ، والارتياح
وهي تقول :

— أهي سكرتيرتك الرقيقة ، كستنائية الشعر ، ذات
المنظار الطبي ، التي أحسنت استقبالي ، حينما ذهبت
لزيارتك منذ عامين .

أوما برأسه إيجاباً ، فانحنت أمه تقبل جبينه وهي
تقول في فرح :

— أحسنت الاختيار هذه المرة يا ولدي ، لقد
أحببت هذه الفتاة منذ جالسها لأول مرة ، ويبدو أن الله —
سبحانه وتعالى — قد استجاب لدعائي حينذاك ، فقد
دعوته أن تحمل هذه الفتاة محلّ (نجوى) في قلبك .

ازدادت أعماقه حزناً وهو يقول :

— ليت ذلك حدث في الوقت المناسب يا أماه .

رددت أمه في دهشة :

— في الوقت المناسب ؟ لماذا يا ولدي ؟ .. هل

أصابها مكروه ؟

اندفع يقص عليها القصة بأكملها ..

أخبرها عن دسائس (نجوى) ومؤامراتها ...
أخبرها عن (حنان) ، وكيف تعذبت من أجله ..
أخبرها كل شيء حتى لحظة معرفته باستقالة (حنان) .
وحينما انتهى ملأه شعور بالراحة ..

شعر كأنما أفرغ أحزانه في أذنيها ، وجلس ينتظر
نصائحها كما كان يفعل في حدائثه ..

صمتت والدته طويلاً ، وكأنها تستعيد كل كلمة
أخبرها بها ، ثم قالت في هدوء :

— لا تتركها يا ولدي .

أخني رأسه في استسلام وهو يقول :

— لقد تركتني هي يا أماه .

ربّئت على رأسه ، قائلة :

— لا تتركها أنت .. اسع خلفها .

رفع إليها عينيه في تساؤل ، فأردفت في حنان :

— الإنسان لا يقابل الحب الحقيقي سوى مرة واحدة

في عمره بأكمله يا بني ، وعليه حينئذ أن يتمسك به ،

ويقاتل من أجله ، وإلا فلن يعثر عليه ما بقي له من عمر .

لم تدهشه حكمتها الفطرية ، فلقد اعتادها منذ تفتحت
عيناه على الدنيا ، فازداد التصاقاً بها وهو يقول :
- أأبحث عنها ؟

أجابته في هدوء :

- بالطبع يا ولدى .. ابحث عنها بكل حواسك ..
لا تفقدها مهما بذلت من جهد ، وحينما تعثر عليها -
بإذن الله - تمسك بها ، ولا تفقدها مهما دفعت من ثمن ،
فزوجة صالحة مخلصه وفيه خير من الدنيا وما فيها .

انبعث الحماس في عروقه ، وهباً واقفاً وقد زایل
عيناه حزنهما ، وتطلع إلى ساعته وهو يقول في انفعال :
- إنها الثانية عشرة فقط ، ولم يغادر الموظفون الشركة
بعد ، سأعثر على عنوانها بلا شك في ملفات الشركة .

انحنى يقبل يد والدته وهو يهتف :

- دعواتك يا أماه ..

تأملته وهو يندفع إلى الخارج في حماس ، وجففت
دمعة سعادة انهمرت على وجنتيها ، ونغممت في حنان :
- تصحبك السلامة والتوفيق يا ولدى .

قاد سيارته إلى الشركة في سرعة لم تألفها طبيعته
الرصينة ، ولم يكد يصلها حتى أسرع إلى قسم الملفات في
حماس أدهش موظفيه ، وأثار ارتباك المسئول عن الملفات ،
حينما رآه يفتح غرفته ، قائلاً في عجل :

- أعطني ملف الأنسة (حنان) يا (شوقي) .

أسرع (شوقي) يناوله ملف (حنان) في ارتباك ،
وهو يتساءل في دهشة عن سر حماس رئيسه وانفعاله ..
قلب (سامح) أوراق الملف في انفعال ، وبحث
بعينه عن خانة العنوان ..

سيطر عليه الغضب والحنق والإحباط حينما رأى الخانة
خالية ، فرفع رأسه إلى (شوقي) ، وتطلع إليه بعينين
غاضبتين وهو يقول :
- أين عنوانها ؟

ازداد ارتباك (شوقي) وهو يحاول تفسير الأمر ،
قائلاً :

- حينما تسلمت الأنسة (حنان) عملها هنا كان
والدها قد انتقل منذ فترة قصيرة للعمل بالقاهرة ،
وكانوا يقيمون في شقة مؤقتة ، ولم يستقر عنوانهم بعد ،

وأخبرتني هي - حينذاك - أنهم سيتسلمون واحدة من شقق الإسكان بعد شهر واحد ، ففضلنا ترك هذه الخانة خالية حتى تبلغنا عنوانها الدائم .

صاح (سامح) في غضب :

- ألم تبلغكم إياه طوال ثلاث سنوات ؟

ارتجف جسد (شوقي) أمام غضب (سامح) ، فتلعثم

وهو يقول :

- لقد نسينا الأمر طوال الوقت ، ثم إنها لم تغب يوماً

واحداً ، ولم توجه إليها أية إنذارات طوال عملها ، فلم

نحتاج إلى معرفة عنوانها و ..

قاطعه (سامح) في غضب :

- غبي .

احتقن وجه (شوقي) وهو يتطلع إلى (سامح) في

ذهول ..

إنه لم يسمعه ينطق بكلمة واحدة غير مهذبة منذ تسلم

عمله بالشركة ..

وهو لم يره يوماً بمثل هذا الغضب .

ظهر الحزن على وجه (شوقي) ، فتنبه (سامح) إلى خطئه ، وربّت على كتفه ، قائلاً :

- معذرة يا (شوقي) ، لقد فقدت أعصابي ، تقبل

اعتذاري ..

أجابه (شوقي) في احترام وتقدير :

- لا عليك يا أستاذ (سامح) .

انصرف (سامح) إلى مكتبه وهو يشعر بحزن وإحباط

شديدين ..

جلس ساهماً يفكر في وسيلة للعثور على (حنان) ..

قفزت إلى ذهنه فكرة جديدة ..

لا بد أن لـ (حنان) أصدقاء أو صديقات في الشركة ..

ولا بد أن أحدهم أو إحداهن يعرف عنوانها ..

حاول أن يتذكر واحداً أو واحدة رآها تجالس

(حنان) يوماً : ..

وهنا لعب القدر لعبته ..

لم يتذكر (سامح) سوى (هدى) ..

تذكر أنه رآها يوماً تجالس (حنان) ..

لم يتصور أن جلستهما كانت تحمل من الكراهية

أكثر ما تحمل من الصداقة ..

بل لأنها لم تكن تحمل أى نوع من الصداقة ..

ولكنه فى قمة لهفته طلب (هدى) لمقابلته ..

وأنت (هدى) وهى تحمل فى قلبها كل الكراهية

والبغض تجاه (حنان) ..

ولم يكده (سامح) يسألها عن عنوان (حنان) حتى

تيقظت كل تلك المشاعر فى أعماقها ..

حتى ما خسرت من أجل حقارتها اعتبرت (حنان)

المسئولة الأولى عنه ..

ووجدتها فرصة سانحة للانتقام ..

لم يكده (سامح) يسألها عن (حنان) ، حتى مطت

شفتيها ، وقالت :

— لأنها لم تكن تصادق أحداً ، ولم تكن تسمح لأحد

بزيارتها ، ولن تجد موظفاً واحداً يعرف عنوانها .

انهارت أحلامه مع كلماتها ..

شعر باليأس وهو يطلب منها الانصراف ..

وانصرفت (هدى) وهى تبسم فى شماته ..

لقد انتصرت ..

لقد حققت انتقامها ..

وشعر هو بالضيق الكامل بعد أن فقد آخر أمل فى

العثور على (حنان) .

انقبض قلبه حزناً ويأساً ..

لقد فقد حبه الوحيد بعد أن أصبح قاب قوسين

أو أدنى منه ..

يا للقدر !!

إنه يفرض شروطه عندما نرغب فى تحديه ..

إنه ينتصر دائماً على الرغم من إرادتنا ..

تعاظم شعور (سامح) بالضيق ..

شعر أنه يقول لحبه وداعاً لحظة لقائهما .. وداعاً إلى

الأبد .



فقدت حياة (حنان) الكثير بعد استقالتها من
الشركة ، وابتعادها عن (سامح) ..

فقدت السعادة والأمل ..

فقدت الحب واللهفة ..

أصبحت حياتها خاوية إلا من الحزن واليأس ..

كانت تشعر في بعض الأحيان بالكراهية تجاه

(سامح) ، الذي لم يلتفت إلى حبها مرة واحدة ، ولكن
حبه لا يلبث أن يملأ قلبها ، فلا يدع فيه مكاناً للكراهية ..

كانت تعشقه حتى بعد أن فقدته ..

وربما زاد فقدته من نار الحب في قلبها ..

فهكذا الحب الحقيقي ..

فالفراق يشعل الحب الناضج ، ويطنى الحب التافه ..

وحبها لـ (سامح) هو الحب الحقيقي الوحيد في حياتها ..

لم تحب من قبله ، ولا تعتقد أنها قادرة على الحب

من بعده ..

انفطر قلب والديها حزناً على ما أصابها ، دون أن
يعرفا له سبباً ..

شقيقتها (غادة) وحدها كانت تعلم ، ولكنها لزمت
الصمت ..

لم تعد (حنان) تغادر منزلها إلا لماماً ..

كانت تتصفح صحف القاهرة كلها بحثاً عن خبر

زواج (سامح) و (نجوى) ، دون جدوى ..

تصورت أنهما لم يعلنوا زواجهما ..

راودتها بعض الأحلام السعيدة ..

تصورت (سامح) يهرع إلى منزلها بعد معرفته

باستقالتها ..

تصورته يحتضن كفها بين راحتيه ..

تصورت نظرات الحب تطل من عينيه الفيروزيتين ..

تصورت كل هذا في أحلامها ..

ولكنها لم تتصور احتمال تحول الأحلام إلى الواقع ..

لم تتصور أن يبحث عنها (سامح) حقاً بعد مرور

ثلاثة أيام على استقالتها ..

ثلاثة أيام ؟ ! ..

لقد بدت لها كدهر كامل ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى الواحدة ظهراً ،
حينما دخلت شقيقتها (غادة) إلى حجرتها صامتة ..

ظلت كلتاهما تتأمل الأخرى لحظة ، ثم قالت (غادة) :
- سمعت أنهما لم يتزوجا .

سألتهما (حنان) وهى تعرف جواب سؤالها :
- من هما ؟ !

تطلعت إليهما (غادة) فى عتاب ، وكأنها ترفض
أسلوب المحاورة هذا ، وقالت :
- (سامح) و (نجوى) .

خفق قلب (حنان) ، حينما سمعت اسم (سامح) ،
ولكنها تماسكت ، وأخفت مشاعرها وهى تقول فى
هدوء زائف :

- هل أجلاً زواجهما ؟

نجحت (غادة) فى دفعها إلى إبراز مشاعرها ،
حينما قالت فى هدوء :

- إنهما لن يتزوجا مطلقاً .

اعتدلت (حنان) فى حركة حادة ، وتطلعت إلى
شقيقتها فى دهشة ، ثم هتفت غير مصدقة :
- ماذا تقولين ؟ !

كررت (غادة) قولها فى إصرار :
- إنهما لن يتزوجا مطلقاً .

ثم أردفت فى لهجة ذات مغزى :

- بل إن (سامح) طرد (نجوى) من شركته ، ومن
حياته بأكملها .

لم تستطع (حنان) إخفاء انفعالها وهى تهتف :
- من أخبرك بذلك ؟

ابتسمت (غادة) وهى تقول :

- زميلتك فى الشركة (صفية) ، لقد أخبرتنى أنه
طرد (نجوى) ، وحطم صورتها ، و ..
صمتت لحظة وهى ترقب انفعال شقيقتها ، ثم
أردفت فى هدوء :

- وهو يبحث عن عنوانك منذ ثلاثة أيام ..

هتفت (حنان) ، وقد خفق قلبها فى شدة :
- عنوانى ؟ !

لم تدر أتصدق أختها أم تكذبها ! ..

كانت قد استسلمت ليأسها حتى تبلدت مشاعرها ..

وكانت تخشى استيقاظ هذه المشاعر ..

خشيت أن تعيد إليها كلمات شقيقتها الأمل ، فترفع

إلى قمة الحياة ، ثم تهوى إلى حضيض اليأس إذا ما تكشف

عبث القول ..

ترددت ، وحاولت أن تبحث في عيني (غادة)

عما يؤيد شكوكها ، ولكن عيني (غادة) كانتا كعينها ..

صريحتين ، بسيطتين ، واضحتين ..

سرت ارتعادة في جسدها وهي تكرر :

— يبحث عن عنواني ؟ !

ثم هتفت في دهشة يمتزج بها بعض الأمل :

— ولكن لماذا ؟

هزت (غادة) كتفها وهي تقول :

— من يدري ؟

عادت (حنان) إلى تردددها ..

ماذا لو أنه يبحث عن عنوانها حقًا ، ولكنه لا يجدها ؟

ربما كان يحاول إقناعها بالتنازل عن استقالتها فقط ..

ربما كان يبحث عنها سكرتيرة نشطة يصعب

تعويضها ، لا حبيبة لا يجد سواها ..

أقنعها الرأي الأخير ..

أعاد إلى قلبها شعور اليأس والحزن ، فقالت وهي

تشيح بوجهها عن شقيقتها :

— فليبحث ما بدا له .

ساد الصمت لحظة ، ثم سألتها (غادة) :

— هل تسمحين لـ (صفية) أن تخبره بعنوانك ؟

هتفت في حدة :

— كلا ..

لم تكذ تنهى من صيحة الرفض التي أطلقت ، حتى

سمعت طرقات رقيقة على باب حجرتها ، وقبل أن تطلب

من الطارق الدخول ، تحرك الباب في هدوء ، وأطل وجه

أمها طيب الملامح وهي تقول في ابتسامة فرحة :

— هناك زائر ينتظرك في حجرة الجلوس يا (حنان) .

تألق بريق أمل في عيني (غادة) ، والتفت إلى

شقيقتها التي عقدت حاجبيها ، قائلة :

— زائر ؟ ! .. من يكون ؟

اتسعت ابتسامته والدتها وهي تقول :

— إنه مدير ك السابق ، الأستاذ (سامح) .

قفزت (حنان) من مقعدها وهي تقول في ذهول :

— (سامح) ؟ !

ثم تداركت أمرها وهي تقول في ارتباك ، بدت فيه انفعالاتها :

— الأستاذ (سامح) ؟ ! .. ماذا أتى به ؟

ابتسمت أمها في طيبة وهي تقول :

— ومن أدراني يا بنتي ؟

أصابها الارتباك والحيرة ، وتطلعت إلى (غادة)

تسألها المشورة ، فابتسمت (غادة) وهي تلتفت إلى

أمها ، قائلة :

— أخبريه أنها ستحضر بعد قليل يا أمه ..

انصرفت الأم وهي تبسم ابتسامته ثم عن فهمها

للأمر ، على حين اتسعت ابتسامته (غادة) وهي تلتفت إلى

(حنان) ، قائلة :

— هيا .. ينبغي أن تزين العروس .

ولقد بدت (حنان) باهرة الحسن وهي تقترب في خطوات مرتبكة من (سامح) ، الذي استقبلها بابتسامته عريضة ، وهو يتأمل ملامحها في سعادة ..

أدهشه أن لها كل هذا الجمال ..

أدهشه أنه لم يلحظ ذلك طوال عملها إلى جواره ..

هتف في انبهار :

— يا إلهي !! إنك تبدين مختلفة تماماً يا (حنان) ،

أنت رائعة الجمال ..

كادت تصرخ من الفرح وهي تسمع لإطراءه ..

تذكرت كيف لم يلتفت إليها حينما فعلت ذلك من

أجله وحده مسبقاً ..

أعادت إليها ذكرى ذلك اليوم بعض مشاعر الحزن

والإحباط ، فأسرعت تطردها من ذاكرتها وهي تسأله :

— كيف توصلت إلى عنواني ؟

ابتسم وهو يقول :

— إنك لم تتركى عنوانك في ملفات الشركة ، ولم أجد

من يعرفه هناك ، وكاد اليأس ينتابني لولا أن وجدت

وسيلة للوصول إلى عنوانك ..

نعمت :

— وسيلة ؟ !

أوماً برأسه وهو يقول :

— نعم .. لقد وجدت رقم بطاقتك الشخصية في ملفك بالشركة ، وعن طريق بعض الأصدقاء أمكنني تتبع هذا الرقم من الشرقية ، حيث كنتم تقيمون قبل انتقال والدك إلى القاهرة ، وقادنا هذا إلى ملفك بالسجل المدني في القاهرة ، وهناك عثرت على استمارة قيدت فيها عنوانك الجديد ، ولقد استغرق هذا ثلاثة أيام ، بسبب الروتين الحكومي ، وهأنذا .

كان يتسم وهو يشرح تلك العملية المعقدة ، فسألته في دهشة :

— ولم تجشمت كل هذا العناء ؟

أجابها في هدوء :

— كان لا بد لي من العثور عليك .

انتابها مخاوفها القديمة من أن يكون بحشه عنها لمجرد

عودتها للعمل ، فأسرعت تقول في عناد :

— لن أسحب استقالتى .. إننى ..

قاطعها وهو يقول في هدوء :

— لقد قبلت استقالتك ..

حدقت في وجهه ذاهلة ..

لم تتصور تخليه عنها بهذه البساطة ..

ولكن لماذا جاء ما دام قد قبل استقالتها ؟ ..

وجدت نفسها تردد في في دهشة :

— قبلت الاستقالة ؟ !

اتسعت ابتسامته حتى شملت وجهه كله وهو يقول :

— بالطبع ، فأنا لا أحب أن تعمل زوجتى .

خفق قلبها في فرح جنوني ..

تدفقت مشاعرها كالسيل تجتاح نفسها ..

لم تصدق أذنيها في البداية ..

هو يطلبها للزواج ؟ !

(سامح) الذى أحبته في صمت يطلبها للزواج ؟ !

ولكن كيف ؟ ..

إنها لم تعترف له بحبها مطلقاً ..

رددت في ذهول :

— الزواج ؟ !

أجابها في تردد :

— إذا كنت تقبلين بالطبع .

تقبل ؟ ! .. وهل يمكنها أن ترفضه ؟ ..

ألا يعلم أن ما يطلبه منها هو حلم حياتها ؟ ..

ألا يعلم أنها احتملت الحياة كلها من أجل هذه الكلمة ؟

كادت تبكي وتلقى نفسها بين ذراعيه ..

كادت تهتف أنها تحبه .. ولم تحب سواه ..

هل أنصفها القدر أخيراً ؟ ..

هل ابتسم لها بعد كل هذا العذاب ؟ ..

تجمدت الانفعالات على وجهها ..

لم تفصح ملامحها عن حبها الجياش ..

كل ما تألق على وجهها هو الدهول ..

الدهول فقط ..

حتى أنه لم يفهم ..

لم يفهم (سامح) ما أصابها ..

خيل إليه أنها ترفضه ..

أحني رأسه ، وارتبك وهو يغمغم :

— لا يمكنني إجبارك على القبول بأية حال ، يمكنك

أن تقولي وداعاً و ..

قاطعته وهي تهمس في حنان دافق :

— (سامح) ..

عبرت حروف اسمه شفقتها كالموسيقى ...

نطقت اسمه على نحو يعترف بكل ما تكنه له من حب ..

بكل حنانها وعشقها ورغبتها ..

خرج اسمه من بين شفقتها يقص قصة حبها ..

قصة حب مخلص وفي ..

حب دام ثلاث سنوات في صمت ..

خرج اسمه معبراً عن كل ما يجيش به صدرها منذ أحبه ..

الآن فقط تأكد (سامح) من حبها ..

التقت عيناه الفيروزيتان بعينيها العسليتان ..

تدفق الحب والحنان في نظراتهما ..

مدّت كفها إليه ، وتخضب وجهها بحمرة الحجل ،
ونطقت ملامحها بالحب وهي تهمس :
— لا تقل وداعاً يا (سامح) .
التقط كفها الرقيق بين أصابعه ، وخفق قلبه ..
بل خفق قلباهما ..
خفق قلبان عاشقان ، حينما أردفت في همس :
— لقد بدأ الفصل الأول من قصة حبنا ، ولن نسدل
الستار عليها أبداً .



(تمت بحمد الله)

المؤلف



د. نبيل فاروق

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

لا تقل وداعاً

قضت (حنان) ثلاثة أعوام من عمرها
وهي تحب (سامح) في صمت ، كانت
تعلم أنه مازال يذكر حبه السابق ،
وفجأة ظهرت حبيبته السابقة في حياته ،
عادت إليه بعد أن فقدت كل شيء ، وكان
عليها أن تقضي (حنان) من الطريق ..
ترى أندافع (حنان) عن حبيبها من
أجل (سامح) ؟ أم تجد نفسها
مضطرة لأن تقول لحبها وداعاً .. ؟

التمن في مصر
وما يعادل دولاراً أمريكياً في
ول العربية والعالم